بلاغة التعبير عن الغضب وعلاجه الرباني
(من المنظور النفسي)

إعداد

أ.م/ زينب كمال سليم محمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات- بني سويف

بلاغة التعبير عن الغضب وعلاجه الرباني
(من المنظور النفسي)

زينب كمال سليم محمد

قسم: البلاغة والنقد، كلية: الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف، جامعة: الأزهر – محافظة بني سويف، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: Masa5kamal@gmail.com

ملخص البحث

يتناول البحث بلاغة وصف انفعال الغضب من المنظور النفسي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع ذكر طرق علاج الغضب التي نصت عليها السنة النبوية المطهرة، والتي أكَّد صحتها علماء النفس بالتجربة والأدلة القاطعة، ويهدف البحث إلى بيان ضرر انفعال الغضب على الصحة النفسية وعلى المجتمع، فالشخص الغاضب قد يرتكب حماقة تكلفه خسارة الدنيا والآخرة، وقد حثَّنا الذكر الحكيم والسنة النبوية على التحكم في انفعال الغضب، وَوَصفَت له علاجا يمنعه ويحد من ضرره، وقد استخدمْتُ في بيان ذلك المنهج النفسي إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي، ومن النتائج التي تمخض عنها البحث؛ أن الانفعالات ترتبط بالدوافع، والدافع المرتبط بانفعال الغضب؛ هو الرغبة في الانتقام والمقاتلة؛ لذا كان علاج الغضب يعد بترا لضررٍ فادحٍ يرتبط وقوعه بالندم الشديد، وأن السنة النبوية قد سبقت إلى ذكر علاج انفعال الغضب بطرق تحدَّث عنها علماء النفس، وأثبتوا صحتها بالدليل القاطع.

الكلمات المفتاحية: (بلاغة الوصف– انفعال الغضب– الصحة النفسية– طرق العلاج– الدوافع)

The eloquence of expressing anger and its divine treatment
(From a psychological perspective)

Zainab Kamal Seliem Mohamed
Department: Rhetoric and Criticism, Faculty: Islamic and Arabic Studies for Girls of Beni Suef, University of: Al-Azhar - Beni Suef Governorate, Arab Republic of Egypt.
Email: zainabmohamed250.el@azhar.edu.eg

Abstract
The research deals with the Rhetoric of describing the emotion of anger from a psychological perspective in the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet, while mentioning the methods of treating anger stipulated in the Sunnah of the Prophet. Psychologists have confirmed its validity through experience and conclusive evidence. The research aims to demonstrate the harmful effects of anger on psychological health and society, as an angry person may commit foolishness that costs him loss in this world and the hereafter. The Wise Qur'an and the Sunnah of the Prophet have urged us to control the emotion of anger, and have prescribed a treatment that prevents it and limits its harm. In explaining this, I used the psychological approach in addition to the descriptive and analytical approach, and among the results reached by the research: Psychological emotions are related to motivation, and the motivation related to anger is the desire for revenge and fighting Therefore, treating anger prevents the severe damage associated with intense remorse, and The Sunnah of the Prophet previously mentioned the treatment of the emotion of anger in ways that psychologists spoke about, and whose validity was proven with conclusive evidence.

key words :(Eloquence of description - anger emotion - mental health - treatment methods - motivations).

المقدمة

بسم الله أحمده وأستعين به، وأطلب رضاه وأتوكل عليه، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله –تعالى– سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛؛؛

فذاك بحث بعنوان: بلاغة التعبير عن الغضب وعلاجه الرباني(من المنظور النفسي)، والغضب انفعال بشري منه ما هو بحق؛ وهو الغضب لانتهاك حرمات الله –تعالى– كغضب الأنبياء والصالحين من العباد، ومنه ما هو لأحقر الأسباب؛ وذاك من الشيطان يسوق به الإنسان مالكا زمامه؛ حتى يقوده إلى الخسران العظيم في الدنيا والآخرة، وقد تناولت غضب الأنبياء وهو غضب بحق لله –تعالى– مما ورد في الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة موضحة كيفية التعامل وقت الغضب إما بالتوبة والإنابة وتصحيح المسار، أو بالتعامل الحكيم مع المواقف المغضِبة وأصحابها، خاتمة البحث ببيان طرق العلاج الربانية من انفعال الغضب.

ويكمن سبب اختياري للبحث؛ فيما أراه حولنا في عصرنا الحالي من شدة الانفعال الغاضب لأحقر الأسباب، فكم من حادثة قتل للنفس التي حرَّم الله –تعالى– ارتُكبت بغير حق لأسباب واهية منشؤها الغضب، وكم من عائلة تقطَّعت صلة الأرحام بينها غضبا بغير حق، فأحببت أن ألقي نظرة بلاغية نفسية على ذاك الانفعال ربما تُفيد بعون الله –تعالى–.

وعن الدراسات السابقة، فكثير من كتب علم النفس تناولت الانفعالات والدوافع على الإجمال، أو تناولت دافع الغضب على التفصيل؛ ومنها فن إدارة الغضب لفهد بن محمد الحمدان، والانفعالات للدكتور عبد العزيز النغيمشي، والدوافع النفسية للدكتور مصطفى فهمي، وغيرها إلا أنني حاولت

ربط البلاغة بعلم النفس في بيان ضرر التمادي في انفعال الغضب، موضحة علاجه من القرآن الكريم والهدي النبوي.

وقد سرت على النهج النفسي إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي في بحثي الذي **جرت خطته في مقدمة، وتمهيد، ومباحث ثلاثة، وخاتمة** على النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن عنوان البحث، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: ومضة حول انفعال الغضب

المبحث الأول: من بلاغة وصف انفعال الغضب لدى يونس وموسى –عليهما السلام–

المبحث الثاني: بلاغة وصف انفعال الغضب لدى النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–

المبحث الثالث: العلاج الرباني للغضب

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث

هذا وأسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

ومضة حول انفعال الغضب

أصل باب (انْفَعَلَ) الصرفي "**لا يكون إلا لازما، وهو في الأغلب مطاوع (فَعَل) بشرط أن يكون من الأفعال الظاهرة؛ لأن هذا الباب موضوع للمطاوعة؛ وهي قبول الأثر**"[١]، والوزن الصرفي لصيغة (انْفَعَلَ) يلائم المعنى الاصطلاحي للانفعال؛ فالانفعال استجابة للعارض الخارجي والتأثر به، وظهور ذلك الأثر على الجسد، فهو "**حالةُ تغيرٍ مفاجئ تشمل الفرد كله دون أن يختص بها جزء معين من جسمه**"[٢]، وقد اهتم بدراسته علماء النفس؛ لأن التحليل النفسي تحليل يسبح داخل النفوس البشرية متعايشا مع تجربتها الذاتية وطرق التعبير عنها، **فـ"التحليل النفسي يشتغل باللغة بوصفها أداة لإيصال الحقيقة، والاستلاب الموجود إما داخل الروابط القائمة بين الأشخاص، وإما داخل الشخص نفسه**"[٣]، والنفس البشرية لا تخلو من الانفعالات النفسية على مدار تعاملاتها البشرية مع الآخرين، ومن وظيفة علم النفس فهم تلك الانفعالات؛ لمحاولة ضبطها وعلاج ما انحرف منها، فكل من "**التاريخ والمجتمع واللغة يعمل في إنسان من لحم وعظم،**

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب للشيخ رضي الدين بن الحسن الاستراباذي- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ١٥٠/١ ط١ المكتبة العلمية- بيروت- لبنان ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٢) الدوافع النفسية د. مصطفى فهمي ص٨٦ ط١ دار مصر للطباعة- القاهرة- مصر ١٩٨٧م.

(٣) التحليل النفسي والأدب لجان بيلمان نويل- ترجمة: حسن المودن ص٢٦ ط١ دار كنوز المعرفة بعمان- الأردن ١٤٣٨هـ ٢٠١٨م.

ويتكون المنهج النفسي من فهم هذا الإنسان"[١]، ومن تلك الانفعالات التي قد يُسبب تفاقمها ضررا فادحا لصاحبها ولغيره؛ انفعال الغضب، فالغضب: "**الرغبة في الانتقام لخطأ**"[٢]، وهو: "**إثارة عاطفية تبتدئ بحماس قوي بسبب زيادة إفراز هرمون الأدرينالين إما بتعبير حركي أو لفظي، أو بميل عدواني يصعب في أغلب الأحيان ضبطه والسيطرة عليه، والغضب طبيعة بشرية خلقها الله –عز وجل–**"[٣]، والشريعة الإسلامية تعالج انفعال الغضب؛ لتقضي على الدافع المرتبط به، وهو دافع العدوان والمقاتلة الذي قد يُفضي بصاحبه إلى خسارة الدنيا والآخرة، وذلك لأن الانفعالات ؛ "**تتصل بدوافع السلوك اتصالا وثيقا، حتى إننا نستطيع في معظم الدوافع أن نميز انفعالا مصاحبا لها؛ فدافع المقاتلة يصحبه انفعال الغضب، ودافع الهرب يصحبه انفعال الخوف...، ودافع الأمومة يلزمه الحنان.**"[٤] إلا أن الإنسان يستطيع بالتحلي بالصبر التدرب على التحكم في انفعالاته ومنها الغضب، وبالنظر في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة أجد أن أنبياء الله –عليهم السلام– لم يغضبوا إلا لله –تعالى–؛ دعوة للتوحيد ولإقامة شريعته، وعلى الرغم من تكثّف شعور الغضب في بعض المواقف التي واجهتهم إلا أنهم استطاعوا السيطرة على ذلك الشعور

---

[١] ينظر: مناهج النقد الأدبي –إنريك أندرسون إمبرت– ترجمة: د/ الطاهر أحمد مكي ص١٢٨ ط١ مكتبة الآداب بالقاهرة– مصر ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[٢] عن الغضب– لوكيوس سينيكا– ترجمة: د.حمادة أحمد علي ص٢١٩ ط١ آفاق للنشر والتوزيع بالقاهرة– مصر ٢٠٢٠م.

[٣] فن إدارة الغضب لفهد بن محمد الحمدان ص١٣ ط٢ مكتبة الملك فهد بالرياض– السعودية ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

[٤] الدوافع النفسية د. مصطفى فهمي ص٩٣.

إما بالرجوع والإنابة، أو بتوظيفه في التوجيه والإرشاد لمن تسبب في حصوله، أما عن علاج الغضب فقد سبقت السنة المطهرة علماء النفس بمئات السنين في بيان ذلك، حتى إن ما أثبتوه من العلاجات الناجعة بالتجارب العملية في زماننا هذا قد سبق النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– إلى ذكره منذ زمن مضى.

المبحث الأول

من بلاغة وصف انفعال الغضب لدى يونس وموسى –عليهما السلام–

إن "**الغضب انفعال له مظاهره، وله آثاره التي تنبعث عنه في حالة وجوده، وتزول عند خفته أو زواله**"[1]، وقد كان غضب الأنبياء لله –عز وجل–؛ رغبة في إعلاء كلمة الله –تعالى–، وإسقاط راية الكفر، فقد ورد في الذكر الحكيم أن سيدنا يونس –عليه السلام– ذهب مغاضبا، قال تعالى:

"**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**"(٢).

وقد كان الغضب منه نصرة لدين الله؛ إذ أخذته حمية الغضب لما رأى إصرار قومه على الكفر، وفي الآية الكريمة حُذِف المسند من قوله تعالى: "**وَذَا النُّونِ**"؛ للاختصار، والتقدير: اذكر ذا النون، وهو "**صاحب الحوت يونس –عليه السلام– ابن متى، وهو اسم أبيه على ما في صحيح البخاري وغيره ....، وقد قيل: إنه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس، وقال ابن الأثير كغيره: إنه اسم أمه، ولم يُنسَب أحد من الأنبياء إلى أمه**

---

[1] الانفعالات التشخيص والعلاج من المنظور الإسلامي أ.د/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي ص١٢ ط٢ دار الفضيلة بالرياض– السعودية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

[2] الأنبياء ٨٧–٨٨.

غيره وغير عيسى -عليهما السلام-."(١)، وقوله: "**مُغَاضِبًا**" حال مبينة؛ إذ ذهب غاضبا على قومه؛ "**لطول ما ذكَّرهم فلم يذكروا، وأقاموا على كفرهم، فراغمهم وظنّ أنّ ذلك يسوغ؛ حيث لم يفعله إلا غضبا لله، وأنفة لدينه، وبغضا للكفر وأهله، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم؛ فابتلي ببطن الحوت.**"(٢)، ولفظة (مُغاضِب) على زنة (مُفاعِل) اسم فاعل من الفعل (غَاضَب) بزنة (فَاعَل)، وتلك صيغة تدل على"**المشاركة**"(٣)، وكأن قومه قد اشتركوا معه في حدوث ذلك الغضب، فقد أغضبوه بإصرارهم على الكفر، وأغضبهم بتبشيرهم بالعذاب ثم رحيله.

ولولا عنادهم وتماديهم في الضلال لما غضب نبي الله يونس -عليه السلام-؛ فمنبع غضبه لله -تعالى-؛ ظنا منه أن قسوته عليهم بتركهم ربما تكون سببا في استفاقتهم من الضلال، فالغضب هنا غضب إيجابي الغرض منه إصلاح عوج أمته، غير أن رحيله لم يكن بإذنٍ من الله -تعالى-؛ فابتُلي بالحبس في باطن الحوت، "**وَذَلِكَ أَنَّ يُونُسَ ابْنَ مَتَّى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ قَرْيَةِ نِينَوَى، وَهِيَ قَرْيَةٌ من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله -تعالى-؛ فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَتَمَادَوْا عَلَى كُفْرِهِمْ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ مُغَاضِبًا لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ بِالْعَذَابِ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا مِنْهُ ذَلِكَ،**

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي- تحقيق: علي عبد الباري عطية ٧٨/٩ ط١ دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ١٤١٥ هـ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ١٣١/٣ ط٣ دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان ١٤٠٧ هـ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ٩٩/١.

وَعَلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ، خَرَجُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ بِأَطْفَالِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْأُمَّهَاتِ وَأَوْلَادِهَا، ثُمَّ تَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَجَأَرُوا إِلَيْهِ، وَرَغَتِ الْإِبِلُ وَفُصْلَانُهَا، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَثَغَتِ الغنم وسخالها، فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: "فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ"(١) يُونُسَ: ٩٨، وَأَمَّا يُونُسُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَإِنَّهُ ذَهَبَ فَرَكِبَ مَعَ قَوْمٍ فِي سَفِينَةٍ فَلَجَّجَتْ بِهِمْ، وَخَافُوا أَنْ يَغْرَقُوا؛ فَاقْتَرَعُوا عَلَى رَجُلٍ يُلْقُونَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَخَفَّفُونَ مِنْهُ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يونس فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوها فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا فَأَبَوْا، ثُمَّ أَعَادُوهَا فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ"الصَّافَّاتِ: ١٤١؛ أَيْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ فَقَامَ يُونُسُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ أَرْسَلَ الله -سبحانه- من البحر ... حُوتًا يَشُقُّ الْبِحَارَ حَتَّى جَاءَ فَالْتَقَمَ يُونُسَ حِينَ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ السَّفِينَةِ، فَأَوْحَى الله إلى ذلك الحوت أن لا تَأْكُلَ لَهُ لَحْمًا، وَلَا تُهَشِّمَ لَهُ عَظْمًا؛ فَإِنَّ يُونُسَ لَيْسَ لَكَ رِزْقًا وَإِنَّمَا بَطْنُكَ تكون له سِجْنًا"(٢).

وقوله تعالى: "**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**" ليس معناه ظن انتفاء القدرة، ولكن إما أن يكون معنى (نَقْدِر): نُضيِّق؛ ففي التحرير والتنوير: "**نَقْدِرُ مُضَارِعُ قَدَرَ عَلَيْهِ أَمْرًا بِمَعْنَى ضَيَّقَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير- تحقيق: محمد حسين شمس الدين ٣٢٢/٥ ط١ دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ١٤١٩ هـ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٢٢.

وَيَقْدِرُ (الرَّعْد: ٢٦)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ (الطَّلَاق: ٧)؛ أَيْ ظَنَّ أَنْ لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ تَحْتِيمَ الْإِقَامَةِ مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، أَوْ تَحْتِيمَ قِيَامِهِ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ سَقَطَ تَعَلُّقُ تَكْلِيفِ التَّبْلِيغِ عَنْهُ؛ اجْتِهَادًا مِنْهُ، فَعُوتِبَ بِمَا حَلَّ بِهِ؛ إِذْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْلِمَ رَبَّهُ عَمَّا يُرِيدُ فِعْلَه"[١].

أو يكون المعنى على التمثيل؛ أي أن "**حاله ممثلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه، من غير انتظار لأمر الله**"(٢).

فعلى المجاز بالتمثيل شبَّه حاله في محاولة عقاب قومه برحيله عنهم دون انتظار لإذن الله –تعالى–، بحال من ظن أن لا يقدر الله –تعالى–على أمره، وما كان ذلك منه إلا لما اعترى نفسه من الهم بسبب عناد قومه واستكبارهم مع حرصه على إيمانهم، وهكذا الحرص الشديد على الشيء ربما أتى بعكس المرجو منه.

ولما شعر بذنبه نادى ربه متضرعا قال تعالى: "**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**"، والمراد بالظلمات: "**ظلمات بطنِ الحوتِ والبحرِ والليل** "**(٣)**، والقصر في ألفاظ الشهادة حقيقي تحقيقي، ذكرها إنابة إلى الله

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر ابن عاشور ١٣١/١٧ ط١ الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم الزمخشري ١٣١/٣.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ٨٢/٦ ط١ دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان د.ت.

–تعالى–؛ لمَّا ضاق به الحال، وأيقن تعجله في الرحيل دون إذن ربه، ولفظة **(سبحانك)** اعتراضية؛ لتنزيه الله –عز وجل–، وتأكيد جملة "**إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**" بـ(إنَّ) واسمية الجملة ينقل لنا مشهدَ الحزن والضيق الذي أصابه؛ لذهابه مغاضبا دون إذن ربه، فقد كان في حالة نفسية من الندم والإنابة، أي أنه لم يستمر في غضبه، بل رجع وأناب لله –تعالى–، فتلك أخلاق الأنبياء التي تعلمنا التوبة والإنابة، تعلمنا واحدة من أهم طرق العلاج للمكروب والحزين، وهو العلاج اللفظي النابع من قلب خاشع موقن بقدرة الله –تعالى– على إزاحة الهم والكرب؛ به "**يتجه الحزين إلى الله بهذا الفهم الواسع، وبهذه الطلاقة والثقة والقوة؛ ليبثَّ كُربته، ويُظهر ضعفه أمام عظمة الخالق، وجلال مقامه، وسعة رحمته، وكمال قدرته...، والكرب يزول بذكر الله وحلمه، وتفضله على عباده**"[1].

والعطف بالفاء في قوله تعالى: "**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**" يوضح سرعة استجابة الله –عز وجل– لدعائه، فهو أسرع من يجيب المضطر إذا دعاه، وعطف عليها جملة "**وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ**"؛ للتوسط بين الكمالين[2]، فكلتاهما خبرية فعلية فعلها ماض، وهو من محسنات الوصل، والجملة الثانية من التفصيل بعد الإجمال؛ إذ فصَّل الاستجابة ووضح كيفيتها بأن نجاه من الغم، والغم: إطباق الكرب وتغطيته الصدر وإثقاله النفس، يقول ابن فارس: "**الغين والميم أصل واحد صحيح يدل على تغطية وإطباق... وغمَّه الأمر يغمه غما:**

---

(١) الانفعالات التشخيص والعلاج ص٩٥.

(٢) فقد اتفقت الجملتان في الخبرية لفظا ومعنى/ ينظر: الإيضاح للخطيب القزويني– شرح: عبد المنعم خفاجة م١/٣/١٢٧ ط٣ دار الجيل بيروت– لبنان د.ت.

شيء يغشى القلب"(١)، ويفترق الهم عن الغم في المعنى والأثر، فالغم أشد وطأة؛ لأن "**الهم: هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب، وليس هو من الغم في شئ؛ ألا ترى أنك تقول لصاحبك: اهتم في حاجتي، ولا يصح أن تقول اغتم بها، والغم: معنى ينقبض القلب معه، ويكون لوقوعِ ضررٍ قد كان، أو توقع ضرر يكون...، وقيل: الغم: ما لا يقدر الإنسان على إزالته كموت المحبوب، والهم: ما يقدر على إزالته كالإفلاس مثلا...، ويؤيده قوله –تعالى– في وصف أهل النار: "كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا"؛ فإنهم لم يكونوا قادرين على إزالة مابهم من العذاب."(٢).**

ولذا كان اختيار لفظة (الغم) أنسب للسياق؛ فقد أطبق الغم على قلبه؛ لشعوره بالذنب، فساء حاله النفسي، وذاك يوضح الفارق بين غضب المؤمن وغضب غيره، فالمؤمن مهما اعتلى مقياس الغضب عنده رجع وأناب لله؛ فاستغفر وتاب.

وذُيّلت الآية الكريمة بالتشبيه الدال على عموم رحمة الله –تعالى– بعباده، يقول الله –جل شأنه–: "**وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**"؛ أي مثل ما نجينا يونس –عليه السلام– من الغم ننجي المؤمنين، وخصَّ المؤمنين؛ لأنهم يتضرعون إلى الله –تعالى– بقلوب موقنة بالإجابة مؤمنة بقدرة الله –تعالى–، وقد ورد في الحديث أن من دعا بدعاء يونس –عليه السلام– استجيب له، "**فعن**

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس– تحقيق: عبد السلام محمد هارون ٣٧٧/٤ ط١ دار الفكر للطباعة والنشر– بيروت– لبنان د.ت.

(٢) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري– تحقيق: محمد إبراهيم سليم ص٢٧٠ ط١ دار العلم والثقافة بالقاهرة– مصر ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

الْقَاسِمِ بْنِ زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ، أَوْ أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلَاءٌ مِنَ بَلَاءِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فُرِّجَ عَنْهُ؟ فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، قَالَ: دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ "(١).

و"أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَدْعُوَ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ "(٢).

****

وأما غضب سيدنا موسى -عليه السلام- فكان أشد، ولكنه كان لله -تعالى- أيضا، فمع كل المعاناة التي مرَّ بها في سبيل دعوة قومه للتوحيد بداية من دعوة فرعون، وانتصاره عليه، والنجاة ببني إسرائيل من براثن شره إلا أنه ومع كل ما حباهم الله -تعالى- من الخير ما إن ذهب للقاء ربه

---

(١) السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي- تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ٢٤٣/٩ كتاب عمل اليوم والليلة- ذِكْرُ دَعْوَةِ ذِي النُّونِ (١٠٤١٦) ط١ مؤسسة الرسالة – بيروت-لبنان ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٢٤٣/٩ كتاب عمل اليوم والليلة- ذِكْرُ دَعْوَةِ ذِي النُّونِ (١٠٤١٧).

وعاد حتى وجدهم عاكفين على عبادة العجل، فَغضَبُ موسى –عليه السلام– رد فعل نفسي يقابل قبح فعلهم.

ففي سورة الأعراف وصفٌ إجمالي لما اتخذوا من دون الله –تعالى– قال تعالى: "**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**"(١).

فنسب الاتخاذ إليهم مع أن المتخذ هو السامري؛ لرضاهم بذلك ومباشرتهم عبادة العجل، فكأنهم شاركوه في الاتخاذ، وأتى بالفعل على صيغة (افتعل) ومن معانيها "**الاتخاذ**"(٢) وهي إلى جانب ذلك أقوى في المعنى من صيغة (فَعَل) ذكره ابن جني في باب قوة اللفظ لقوة المعنى قائلا: "**هذا فصل من العربية حسن... ومثله باب فَعَل وافْتَعل نحو قَدَرَ واقْتَدَر ؛ فاقْتَدر أقوى معنى من قولهم: قَدَر**"(٣)، فكأنهم بقبولهم عبادة العجل شاركوا بقوة في اتخاذه حتى لو لم يكونوا صانعين له.

ونكَّر لفظة (عجلا)؛ للتحقير من شأنه، وقوله: "**لَهُ خُوَارٌ**" وصف للعجل فقد روي أن السامري: "**قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل –عليه السلام– يوم قطع البحر، فقذفه في العجل، فكان عجلا له خوار**"(٤)، وقوله تعالى: "**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**" استفهام تقريري، يحملهم على الإقرار بعوار ما اتخذوا من دون الله –تعالى–، فهو لا ينفعهم ولا

---

(١) الأعراف آية ١٤٨.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ١٥١/١.

(٣) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني– تحقيق: محمد علي النجار ٢٦٧/٣ ط٦ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة– مصر ٢٠١٩م.

(٤) الكشاف ١٦٠/٢.

يهديهم سبيلا، وبلاغة الاستفهام تبدو في تقريعهم من جانب، والتعريض بغبائهم من جانب آخر، لذا ذيّل الذكر الحكيم الآية بقوله تعالى: "**اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**"؛ أي افتعلوا ذلك واجتهدوا في طلبه؛ ظلما لأنفسهم وطغيانا، فصيغة (افتعل) تدل على اجتهادهم في طلب ذلك وتحريه، بينما تدل صيغة اسم الفاعل "**ظَالِمِينَ**" على أن ظلمهم وطغيانهم أمر ثابت محقق فيهم، وليس الأمر على أنها كانت غفلة أو سقطة واحدة، بل تعددت سقطاتهم، فمن قبل وبعد أن نجاهم الله من كيد فرعون وقومه مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فطلبوا إلها مثل أصنامهم، قال تعالى: "**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** [1]" فهم قوم بهت لا عهد لهم ولا أمان.

وقد ندموا على فعلتهم؛ فقوله تعالى: "**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**"[2].

كناية عن صفة الندم الشديد؛ "**لأنّ من شأن من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعض يده غما، فتصير يده مسقوطا فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها**"[3]، والكناية تعكس سوء الحالة النفسية التي اعترتهم؛ حتى عضوا أيديهم من بالغ الحسرة، ويدعمها دلالات التراكيب؛ فالفعل في (رأوا) ماض يفيد التحقيق، واقتران الفعل في (ضلوا) بـ(قد) يؤكد ذلك التحقيق؛ فيدعمه أيضا؛

---

[1] الأعراف آية ١٣٨.

[2] الأعراف آية ١٤٩ .

[3] الكشاف للزمخشري ٢/١٦٠.

فقد تبين لهم ضلالهم بلا ريب، وشعروا بالخسران العظيم؛ فطلبوا الرحمة والمغفرة.

"وَلَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[١].

تصف الآية الكريمة الشعور الوجداني لسيدنا موسى –عليه السلام– وأتى بالحالين على صيغة (فَعْلان– فَعِل)؛ للمبالغة في وصف الحالة التي كان عليها آنذاك، وقت رجوعه إلى قومه وقد عَلِم بالخبر، فوصفته بكونه غضبان أسفا، **"والفرق بين الحسرة والأسف والغم: أن الحسرة غم يتجدد لفوت فائدة فليس كل غم حسرة، والأسف حسرة معها غضب أو غيظ، والآسف: الغضبان المتلهف على الشئ"**[٢]، فالحسرة أشد من الغم؛ لأنها غم متجدد، والأسف أشد من الحسرة؛ لأنه حسرة مع الغضب والتلهف، فالأسف أشد الثلاثة؛ فقد وصل به الغضب لدين الله –تعالى– أقصاه؛ فنفَّس عن غضبه بأمورٍ:

أولها: ذمهم فقال: **"بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ"**؛ **"أي بئسما فعلتم من بعد غَيْبتي؛ حيث عبدتم العجلَ بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفيِ الشركاءِ عنه وإخلاصِ العبادةِ له"(٣)** ، فيكون الخطاب متوجها لمن عبد العجل من السامري وأتباعه، أو الخطاب **"لوجوه**

---

[١] الأعراف آية ١٥٠.

[٢] معجم الفروق ص ٨٦.

[٣] تفسير أبي السعود ٣/٢٧٤.

بنى إسرائيل وهم هارون –عليه السلام– والمؤمنون منهم، ويدل عليه قوله: اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي، والمعنى: بئس ما خلفتموني؛ حيث... لم تكفوا من عبد غير الله"(١)، وأرجح كون الخطاب لمن عبد العجل بدليل قول هارون –عليه السلام– في تذييل الآية الكريمة: **"فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعداء وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ القوم الظالمين"**؛ أي لا تجعلني مع المذمومين ممن ظلموا أنفسهم بعبادة العجل.

وثانيها: إلقاء الألواح؛ فقد طرحها من فرط الغضب لدين الله –تعالى–، و**"روي أن التوراةَ كانت سبعةَ أسباعٍ في سبعة ألواح، فلما ألقاها انكسرت؛ فرفعت ستةُ أسباعِها التي كان فيها تفصيلُ كلِّ شيءٍ، وبقي سُبعٌ كان فيه المواعظ والأحكام"(٢)**.

وثالثها: العتاب الشديد لهارون –عليه السلام–؛ قال تعالى: **"وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ"** أي **"بشعر رأسه"(٣)**، فأطلق المحل وهو الرأس، وأراد الحال وهو الشعر على سبيل المجاز المرسل[٤]، وعلاقته المحلية، وتبدو بلاغة التعبير بالمجاز هنا في المبالغة، فكأنه من شدة غضبه لم يأخذ بشعره بل أخذ بالرأس كله يجره إليه، فانفعال الغضب هنا قد بلغ أشده بدأ بالتدرج في القوة من الأدنى إلى الأعلى؛ بدأ بالذم وهو كلام فقط لا فعل، ثم

---

(١) الكشاف ٢/١٦٠.

(٢) تفسير أبي السعود ٣/٢٧٤.

(٣) السابق ٣/٢٧٤.

(٤) "ما كانت العلاقة المصححة للتجوز غير المشابهة...، سمي مرسلا؛ لإرساله أي إطلاقه عن التقييد بعلاقة المشابهة" شرح مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي– تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ٢/٢٢٠ط١ المكتبة العصرية صيدا– بيروت– لبنان ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

ارتقى إلى الفعل المجرد من اختلاف الحركات بإلقاء الألواح، ثم اشتعل الغضب فارتقى إلى الفعل المقرون بالحركة الاضطرابية المندفعة بأخذه رأس أخيه يجره إليه؛ توهما أنه قصّر في مهمته حين استُخلف عليهم، فقد بلغ الغضب أقصاه في تلك المرحلة، **فـ"للغضب طبيعة نارية متوقدة داخل النفس تعبر عن ذلك بمظاهر أقرب ما تكون للنار في حرارتها ولونها ومفعولها وآثارها"(١).**

وعند ذلك بدأ هارون في استعطافه، "**وهارون كان أكبرَ منه –عليهما السلام– بثلاث سنينَ، وكان حَمولًا ولذلك كان أحبَّ إلى بني إسرائيل**"(٢)، فذكَّره بأنه ابن أمه، و"**كان أخاه لأبيه وأمّه**"(٣)، ولكنه ذكَّره بالأم؛ لاستعطافه فهي الرحم المؤمنة التي ضمتهم، وهي التي من فرط خوفها وشفقتها على موسى –عليه السلام– ألقته في اليم داعية الله أن يحفظه فكانت سببا بإذن الله –تعالى– في نجاته من بطش فرعون، ومن ثم أرضعته وقد حرَّم الله –عز وجل– عليه المراضع، فقد كان لها الدور الرئيس الأول في حياة سيدنا موسى –عليه السلام– فذكَّره أخوه بها استعطافا؛ ليرق قلبه ويلين؛ فيهدأ غضبه، مُتبعا ذلك بالقول المؤكد: "**إِنَّ القوم استضعفونى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى**"؛ ليدفع به توهم غير المراد من التقصير في غيابه، فالفعل (كاد) يستعمل

---

(١) الانفعالات التشخيص والعلاج ص١٤.

(٢) تفسير أبي السعود ٣/٢٧٤.

(٣) الكشاف ٢/١٦١.

"**لمقاربة حصول الفعل؛ أي قارب الحصول ولم يحصل**"[١] فقد استضعفه القوم، وغلبوه على ضعفه حد الوصول إلى مقاربة قتله.

والنهي في قول هارون –عليه السلام–: "**فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعداء وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ القوم الظالمين**" للالتماس؛ "**أي فلا تفعلْ بي ما يكون سببًا لشماتتهم**"[٢]، فنسب إليه الفعل على سبيل المجاز العقلي[٣]، وعلاقته السببية؛ لأنه إذا أتى الفعل من قبيل موسى –عليه السلام– فكان سببا في وقوع الشماتة في أخيه كان ذاك أعظم وأثقل على نفس هارون –عليه السلام–، والحوار من هارون –عليه السلام– يعلمنا كيفية امتصاص الغضب، فالغضب انفعال قد يودي بالإنسان إلى إيذاء أحبابه ومن ثم إيذاء نفسه، ويتطلب من شهد انفعال الغضب أن يكون حكيما في ردود أقواله وأفعاله، وأن يكون لديه القدرة على امتصاص غضب الغاضب؛ حتى يخرج به من طوفان الانفعال الجارف إلى بر الأمان.

وقد آتى اللين أكله؛ فهدأت ثورة الغضب، وناشد موسى –عليه السلام– ربه: "**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**"، والجملة استئناف بياني بُنِي على نشأة سؤالٍ فحواه: ماذا قال سيدنا موسى –عليه السلام– إثر استعطاف أخيه؟ والجواب: "**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي**"، والأمر

---

[١] معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٢٧٣/١ ط١ دار الفكر للطباعة والنشر بعمان– الأردن ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

[٢] تفسير أبي السعود ٢٧٤/٣.

[٣] إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول/ ينظر: عروس الأفراح للشيخ بهاء الدين السبكي١٤٠/١ ط١ المكتبة العصرية صيدا– بيروت– لبنان ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

فيه للدعاء، فقد استغفر له ولأخيه؛ **"ليُرضِيَ أخاه ويُظهر للشامتين رضاه؛ لئلا تتم شماتتُهم به ولأخيه"**، وتلك أخلاق الأنبياء والصالحين، فلم يصر على غضبه، بل رجع عنه، ونصر أخاه، وذلك السلوك يُظهر الفرق بين غضب المؤمنين وغضب غيرهم، فالمؤمن أواب ذو نفس لوامة، لا يقلل من شأنه الرجوع إلى الحق، ولا غفران الذنب، وغير المؤمن يقوده الغضب إلى الاستكبار، فالغضب والكبر يجريان من منبع واحد، ويفترقان بحسب اختلاف طبائع البشر، فمؤمن مستعيذٌ بالله –تعالى–، وكافر مستعلٍ بكبره ربما قاده غضبه إلى الوقوع في الكبائر.

ومن أمرية دعائية لأخرى معطوفة عليها؛ للتوسط بين الكمالين في قوله تعالى: **"وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ"**؛ أي**"بمزيد الإنعامِ بعد غُفران ما سلف منا"**[١]، وذيَّل الآية الكريمة بما يتناسب مع طلب العفو والرحمة قال تعالى: **"وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"**، والجملة تذييل لما قبلها مؤكدة لمنطوقها تبث في قلب كل غاضب أو حزين شعاع الأمل وبريق التفاؤل لتدارك ما فات.

وقد حدث بالفعل أن ذهب عنه غضبه قال تعالى: **"وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ"**[٢]؛ أي انقطع غضبه بعد تهدئة أخيه، وتوبة قومه، وفي التعبير استعارة مكنية؛ حيث شبَّه الغضب بإنسان يُحرِّض ويغوي، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السكوت، فالغضب لا يسكت، ولكن لما بلغ ذروته مع سيدنا موسى –عليه السلام– ثم هدأ بأمر الله –تعالى– جعل هدوءه سكوتا، وكأن غضبه كان غاويا يغويه يتردد صوته بداخله لا

---

[١] تفسير أبي السعود ٣/٢٧٤.

[٢] الأعراف آية ١٥٤.

ينقطع، ينتقل به من درجة غاضبة إلى أعلى منها حتى إذا بلغ الزبى انقطع فكأنه سكت، **فـ"الإثارة النفسية تسبب إثارة بدنية فورية، فالقلب يضخ الدم على نحو أسرع، والأوعية الدموية تضيق، وضغط الدم يرتفع، وحتى إن بؤبؤ العينين يتوسعان، وفي المقابل فإن الاسترخاء الذهني يستطيع أن يُبطئ حركة الجسم"**[1] وكأن الغضب تردد بداخله حد الفوران، فلما هدأ سكت.

هذا وقد ذُكر موقف غضب سيدنا موسى –عليه السلام– في سورة طه أيضا من بداية سعي سيدنا موسى إلى ربه وقد استخلف أخاه هارون – عليهما السلام– على بني إسرائيل، فقد واعده ربه ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر ليال فتمت أربعين يصومها، ولذلك قال الله تعالى: **"وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى"**[2] فالاستفهام إنكاري، ينكر عليه استعجاله، وإسراعه إلى سبق قومه، **"وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب، ثم تقدمهم؛ شوقا إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به، بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضا الله –تعالى–، وزل عنه أنه –عز وجل– ما وقَّت أفعاله إلا نظرا إلى دواعي الحكمة، وعلما بالمصالح**

---

[1] الضغوط النفسية ومواجهتها د. محمد علي كامل ص٢٩ ط١ مكتبة ابن سينا للطبع والنشر بالقاهرة– مصر ٢٠٠٤م.

[2] سورة طه آية ٨٣.

المتعلقة بكل وقت"[١]، و"المراد بالقوم ... هم السبعون رجلا الذين اختارهم لميقات ربه."(٢).

وقوله تعالى على لسان موسى –عليه السلام–: "**قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**"[٣] جواب لم يجر على مقتضى الظاهر، فمقتضى ظاهر "**الجواب أن يقال: طلب زيادة رضاك، أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك**"[٤]، وربما كان السبب في ذلك أن السؤال يتضمن شيئين: "**أحدهما: إنكار العجلة في نفسها، والثاني: السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه، فكان أهمّ الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أُنكر عليه؛ فاعتل بأنه لم يوجد منى إلا تقدّم يسير، مثله لا يعتدّ به في العادة ولا يحتفل به. وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدّم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم، ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال: وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى، ولقائل أن يقول: حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله؛ فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام.**"[٥]، وتلعب مفردات التراكيب دورا كبيرا في محاولة سيدنا موسى –عليه السلام– نيل رضا ربه؛ فلم يَرُد بـ(يأتون على أثري)، ولكنه قال: "**هُمْ أُولَاءِ**" مبتدئا بالضمير ومثنيا بالإشارة؛ ليبالغ في تأكيد كونهم تابعين له قريبين

---

[١] الكشاف للزمخشري ٣/٨٠.

[٢] الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ١٤/١٩٠ ط١ مؤسسة الأعلى– بيروت– لبنان ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

[٣] سورة طه آية ٨٤.

[٤] الكشاف للزمخشري ٣/٨٠.

[٥] الكشاف للزمخشري ٣/٨٠.

منه، ومن ثم اختص لفظة "**أثري**" بالاستخدام؛ مبالغة منه في توضيح بالغ قربهم منه حتى كاد أثر خطواتهم يطابق أثره، مختصا حرف الجر (على) بالاستخدام، فلم يجعل إتيانهم في أثره بل على أثره يطابق خطواته؛ مما يقرب مسافة اتباعهم له.

ثم وضَّح العلة التي حملته على ذلك قائلا: "**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**"، مقدما الجار والمجرور (إليك)؛ للتخصيص، فقد تعجل للقاء الله –تعالى– لا إلى دنيا يصيبها، فجعل عجلته وسيلة لغاية وهي رضا الله –تعالى– يتضح ذلك من استخدامه القيد بالجار والمجرور (إليك)؛ ليوضح أن مبتداه ومنتهاه إليه، ابتدأ بالعجلة شوقا؛ ليصل إليه –جل علاه– حبا، هذا إلى جانب إيثاره التعبير بكلمة: "**ربي**"؛ ليضفي على عذره مزيدا من الاستعطاف خاتما سلسلة مفرداته التي تخدم المعنى المنشود بقوله: "**لترضى**" وهي صيغة مضارع مقترنة بلام التعليل تضفي على المعنى التكرار لحدوث فعل الرغبة في نيل الرضا.

وقد أثار رد موسى –عليه السلام– سؤالا ذهنيا، وهو بِمَ رَدَّ الله –عز وجل– عليه؟ لذا فصل القول التالي؛ للاستئناف البياني: "**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**"[1].

الخبر إنكاري مؤكد بـ(إن) واسمية الجملة، و(قد) الداخلة على الماضي؛ لرفع توهم كونهم بخير على دين الله –تعالى– كما ظن موسى–عليه السلام–، ومن هنا وبعد أن عَلم موسى –عليه السلام– ضلال قومه غضب "**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا**" وعطف بالفاء في "فرجع"؛ ليوضح

---

[1] سورة طه آية ٨٥.

سرعة العودة؛ فقد أغضبه ما حدث في غيابه من ردة قومه عن دين الله – عز وجل–؛ فهمَّ عائدا لينظر في أمرهم.

وقال: "**غَضْبَانَ**"؛ ليظهر بالغ الغضب والأسف الذي أصابه، وهو يفترق عن الحزن؛ فالحزن إحساس باطني أهدأ فيه سكون وانكسار، والغضب انفعال تندفع تبعاته على الهيئة الخارجية لصاحبها، فهو أشبه بالغليان الذي لا يكتفي ببواطن الإنسان فحسب، بل يفور حتى يفيض على الجوارح كلها؛ فيطغى على قسمات الوجه، ويقلقل حركة الجسد اضطرابا واندفاعا، **فـ"أصل الغضب من النار، وصفة النار التحرك والاضطراب؛ فلهذا كل من غضب يضطرب ويتحرك بحيث لا يملك نفسه، ولقد خلق الله الغضب في الآدمي؛ ليكون له سلاحا في دفع ما يضره عما ينفعه، كما خلق فيه الشهوة لتكون آلة له في جذب ما ينفعه، ولا بد له من هذين الجنسين: الغضب والشهوة، ولكن إذا كان مسرفا في ذلك يضره"**[(١)]، وانفعال الغضب أقوى من الحزن في ظهور أثره؛ مما ينقل لنا سوء الحال النفسي الذي اعترى سيدنا موسى –عليه السلام– إثر إخباره بردة قومه عن دين الحق،ومع تلك الصدمة النفسية التي أصابت سيدنا موسى –عليه السلام– ومع شدة غضبه أخذ يعاتبهم منكرا عليهم تلك الفعلة الشنعاء قائلا كما حكى الذكر الحكيم:

"**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**" وبين جملة الفعل: (قال) وما سبقها شبه كمال اتصال؛ لتضمن السابقة سؤالا ذهنيا يدور حول: ماذا قال لهم؟ وقد أجابت عنه تلك الجملة مناديا بالبعيد "**يا قَوْم**"، وهو في ندائه لم

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس ص٢٢٨ ط١ المكتبة العصرية، بيروت– لبنان ١٤١٨ هـ.

يضفهم إلى نفسه، فلم يناد: بـ(يا قومي)؛ لما ملأ نفسه من الغضب منهم مُنكرا عليهم ما فعلوا ومقررا لهم بفضل الله عليهم قائلا: "**أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا**" منكرا لفظة "**وَعْدًا**"، وواصفا إياه بـ(الحَسَن)؛ للتعظيم، ومسندا الوعد إلى الله –عز وجل–؛ لينبههم إلى قبيح فعلهم وعظم جحودهم، وقد أتبع الاستفهام التقريري بآخر توبيخي تعجبي قائلا: "**أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**"[(١)]، و(أل) للعهد الذهني، أي تلك المدة القصيرة المعهودة التي أخبرتكم بها، وهي وقت لقائه ربه، وقد خالفوه وعبدوا العجل مخلفين وعد الله الحسن وراء ظهورهم، فالاستفهام تعجبي توبيخي يقبح حالهم المزري.

وانتقلت الآيات الكريمات من بيان حالهم البائس واعتذارهم بالحجج الواهية إلى بيان الموقف الذي ظهر فيه غضب موسى –عليه السلام–، فقد جاء على لسان موسى –عليه السلام– قوله تعالى: "**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**"[(٢)].

مناديا أخاه بـ(يا) البعيد؛ بما يتناسب مع تفاقم حالة الغضب التي اعترته مستفهما: "**أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**" وهو استفهام تعجبي، فقد دُهِش مما وقع فيه القوم من الضلال في حضور هارون بينهم، وهنا يستعطفه هارون –عليه السلام– بتذكيره بالأم على نهج سورة الأعراف، يقول الذكر الحكيم: "**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**"[(٣)]، والنهي في الآية للالتماس، وقد زاد على

---

(١) سورة طه آية ٨٦.

(٢) سورة طه آية ٩٢: ٩٣.

(٣) سورة طه آية ٩٤.

أخذ رأسه جرا أخذه باللحية؛ تأكيدا لما ورد في سورة الأعراف وزيادة؛ لبيان الحد الذي وصلت إليه ثورة الغضب، **فـ"عندما يكون الدافع قويا؛ فهنا تصحب الاستجابة دائما حالة انفعالية، يقوم الكيان العضوي تحت تأثيرها بمجهود مضاعف لتحقيق الغرض"**[١]، فتلقاه أخوه بالتهدئة بلين الخطاب معللا بقوله: **"إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي"**، وهي جملة اسمية مؤكدة تؤكد خوفه من حدوث الشقاق بينهم إن أخذهم بالعنف، أو أن يُظَن أنه استأثر بالرأي ولم ينتظر حكم موسى –عليه السلام– فيهم،وهو في ذلك يخاطبه باللين، ويذكره بالعاطفة التي تجمعهم وهي الأخوة، والأم الواحدة، فالعاطفة **"تخلق استعدادا نفسيا ...، وتعطي العواطف الثابتة للحياة الوجدانية نظاما واتساقا نحو أهداف بالذات، وإن عاطفة قوية لهي كافية لتحديد نشاط الفرد واتجاهه في حياته"**[٢]، وقد رجع سيدنا موسى –عليه السلام– عن غضبه، وما كان غضبه إلا لله –تعالى– وحمية لدينه؛ فقد تحمل من بني إسرائيل ما تنوء به الجبال –عليه أزكى السلام وأطيبه–.

****

(١) الشخصية في سوائها وانحرافها د. مصطفى فهمي ص٢٥ ط١ دار مصر للطباعة بالقاهرة– مصر ١٩٦٦م .

(٢) السابق ص٢٧.

المبحث الثاني

بلاغة وصف انفعال الغضب لدى النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–

"إن الغضب أمر غريزي، وطبع جِبِلي، ينشأ عنه وبه تغيرات عضوية حشوية من حرارة وتقلص في العضلات، وإفرازات غدية، واستعداد للمقاتلة والمواجهة، وإن لهذا حرارة داخلية كامنة يحسها من اشتد غضبه كما يحس الجائع أو العطشان بجوعه أو عطشه"[1] ولم يكن غضب النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– كذلك، فلم يكن عن ثورة النفس ولا عن تسلط شيطان، كيف! وهو الذي أمرنا أن نملك أنفسنا عند الغضب، وإنما كان غضبه عند انتهاك حدود الله –تعالى– أو وقوع أحد المؤمنين في معصية؛ ليصلح المنكسر، ويقوّم المعوج؛ لتستقيم الأمور في حدود شرع الله –تعالى– ، ومن الأحاديث الحوارية التي عالجت ذلك ما ورد في صحيح البخاري:

"حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلٍ الأَحْدَبِ عَنِ المَعْرُورِ[2]**، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ**[3]

---

[1] الانفعالات التشخيص والعلاج أ.د/ عبد العزيز بن محمد النغميشي ص١٥.

(٢) (المعرور بن سويد: أبو أمية الأسدي الكوفي، هُوَ مِنْ رِجَالِ الكُتُبِ السِّتَّةِ حَدَّثَ عَنِ: ابْنِ مَسْعُوْدٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَجَمَاعَةٍ، وَعَاشَ مائَة وَعِشْرِيْنَ عَاما، قَالَ الأَعْمَشُ: رَأَيْتُهُ وَهُوَ ابْنُ مائَةٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةً أَسْوَدَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ بِضْعٍ وَثَمَانِيْنَ فِي خِلاَفَةِ الوَلِيْدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ)/ ينظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي– تحقيق : الشيخ شعيب الأرناؤوط ١٧٤/٤ ط٣ مؤسسة الرسالة–بيروت– لبنان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٣) جندب بْن جنادة بْن سفيان أَبُو ذر الغفاري، أسلم والنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بمكة أول الإسلام، فكان رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة، وهو أول من حيَّا رَسُول اللَّهِ ==

بِالرَّبَـذَةِ[١]، وَعَلَيْـهِ حُلَّـةٌ، وَعَلَـى غُلاَمِـهِ حُلَّـةٌ، فَسَـأَلْتُهُ عَـنْ ذَلِـكَ، فَقَـالَ: إِنِّـي سَـابَبْتُ رَجُـلًا فَعَيَّرْتُـهُ بِأُمِّـهِ، فَقَـالَ لِـي النَّبِـيُّ -صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: يَـا أَبَـا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَـهُ بِأُمِّـهِ؟ إِنَّـكَ امْـرُؤٌ فِيـكَ جَاهِلِيَّـةٌ، إِخْـوَانُكُمْ خَـوَلُكُمْ، جَعَلَهُـمُ اللَّهُ تَحْـتَ أَيْـدِيكُمْ، فَمَـنْ كَـانَ أَخُـوهُ تَحْـتَ يَـدِهِ، فَلْيُطْعِمْـهُ مِمَّـا يَأْكُـلُ، وَلْيُلْبِسْـهُ مِمَّـا يَلْـبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ"[٢].

==

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بتحية الإسلام، ولما أسلم رجع إِلَى بلاد قومه، فأقام بها حَتَّى هَاجَرَ النَّبِيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأتاه بالمدينة، بعد ما ذهبت بدر وأحد والخندق، وصحبه إِلَى أن مات، وكان يعبد الله -تعالى- قبل مبعث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاث سنين، وبايع النَّبِيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق، وَإِن كان مرًّا...، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ...، هَاجَرَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى وَلِيَ عُثْمَانُ، فَاسْتَقْدَمَهُ ...، فَأَسْكَنَهُ الرَّبَذَةَ حَتَّى مَاتَ بِهَا."/ أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير ٣٥٧/١ ط١ دار الفكر، بيروت- لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(١) الرَّبَذة: "من قرى المدينة على ثلاثة أيّام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-"/ معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ٢٤/٢ ط٢دار صادر، بيروت- لبنان ١٩٩٥ م.

(٢) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق: محب الدين الخطيب ٢٦/١ كتاب الإيمان- بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ (٣٠) ط١ المكتبة السلفية بالقاهرة- مصر ١٤٠٠هـ .

بدأ الحوار في الحديث الشريف بين الراوي وأبي ذر باستحضار المشهد المستهَل بقوله: "**لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ**"، واللقاء: "**كل شيء استقبل شيئا أو صادفه**"[1]، فقد كان اللقاء على سبيل المصادفة من غير ترتيب مسبق؛ مما يوضح أن أبا ذر لم يكن ليكسو غلامه من جنس الحلة التي يرتديها رياء أمام الناس، وإنما كان ذلك عن قناعة عقلية نابعة من مكنون نفس راضية بما تفعل، وما كان ذلك الرضا النفسي إلا لسبب سيوضحه أبو ذر في نص الحديث الشريف، وقوله: "**وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ** " جملة حالية لا تحسن إلا بالواو، يقول الإمام عبد القاهر–رحمه الله– عن واو الحال: "**حَسُن أن تقول: جاءني زيد والسيف على كتفه، وخرج والتاج عليه، فتجده لا يحسن إلا بالواو، وتعلم أنك لو قلت: جاءني زيد السيف على كتفه، وخرج التاج عليه؛ كان كلاما نافرا لا يكاد يقع في الاستعمال**"(٢)، والحالية هنا تدعم السياق؛ إذ توضح امتثال أبي ذر لأوامر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن اقتناع حتى شوهد على غفلة وحاله وحال غلامه على ما أمره به رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،"**وَاسم الْغُلَام لم يبين فِي رِوَايَات هَذَا الحَدِيث، وَقَالَ بَعضهم: يحْتَمل أَن يكون أَبَا مراوح مولى أبي ذَر**"(٣).

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (لقي) ط١ دار المعارف ١٩٨١م .

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني – قرأه وعلق عليه / محمود محمد شاكر ص٢٢١ط٣ مطبعة المدني بجدة– السعودية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العينى ٢٠٧/١ ط١ دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان د.ت.

والحُلل: "برود اليمن، ولا تسمى حلَّة حتى تكون ثوبين، وقيل: ثوبين من جنس واحد"[١] وعليه ما ورد في حديث صحيح مسلم من قول الراوي: "**وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ**"[٢]، وإنما جعلهما حلتين، عليه واحدة وعلى غلامه الأخرى، ولم يقل: ثوبين من باب إطلاق الكل وهو الحلَّة على الجزء وهو أحد الثوبين المتشابهين على سبيل المجاز المرسل، وعلاقته الكلية، وتبدو بلاغة المجاز في تأكيد بيان تشاركهما في الحلة، وهما مولى وسيده؛ مما يبين عظيم أخلاق أبي ذر، وسماحة نفسه، فذاك فعل يصدر عن النفوس القويمة الخالية من أمراض النفس ووساوسها **فـ"من ملامح شخصية المسلم المنشودة: حسن الخلق والتواضع والألفة... وهي شخصية تتسم حسب ما يقوله علماء النفس بالتكامل والاتزان"**[٣].

والفاء في قول الراوي: "**فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ**" تفيد سرعة التعقيب؛ مما يبين حال الدهشة التي اعترت نفس الراوي فجعلته يتساءل عن سر اتحاد ملبسهما، وسأله؛ "**لِأَن عَادَة الْعَرَب وَغَيرهم أَن يكون ثِيَاب الْمَمْلُوك دون سَيّده**"(٤)، والتعبير باسم الإشارة للبعيد (ذلك)؛ للتفخيم، وكأن الراوي قد استعظم ذلك الأمر، وهو كون السيد وخادمه يلبسان من الثياب المتماثلة في الجنس.

---

(١) اللسان مادة (حلل).

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري– تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ١٢٨٢/٣ كِتَابُ الْأَيْمَانِ– بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ (١٦٦١) ط١ دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان د.ت.

(٣) التكيف النفسي د/ مصطفى فهمي ص١٤٠ ط١ دار مصر للطباعة بالقاهرة– مصر ١٩٧٨م.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠٨/١.

فكشف أبو ذر عن سبب فعله ذلك "**فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**"، والفعل: "**سَابَب**" على زنة (فَاعَل) مما يفيد المشاركة في الشجار بينه وبين الرجل إلا أنه زاد عليه وأثِم بتعييره بسواد أمه؛ يدل على تلك المشاركة ما ورد في حديث مسلم من قول أبي ذر: "**مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ**"، فعن "**الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**"[1].

و"**الرجل الْمَذْكُور هُوَ بِلَال الْمُؤَذّن، مولى أبي بكر، –رَضِي الله عَنهُ–**"[2]، وقد نكَّره أبو ذر –رضي الله عنه–، فقال: (رجلا)؛ لصرف نظر المخاطب عن عين المُنكَّر، وتوجيهه إلى القضية التي يدور حولها الحوار، وكأنه لا يرغب في تذكير السامعين بأنه قد عيَّر بلالا –رضي الله عنه–؛ لشعوره بالذنب، وهو شعور سوي يختلف عن الشعور المرضي بالذنب؛ إذ الشعور بالذنب يحدث للإنسان عندما "**يمارس عملا محرما مثلا ثم يظل الندم على الذنب ملازما له حتى يصح أن تنطبق على أحاسيسه، تلك الحقيقة التي**

---

[1] صحيح مسلم ١٢٨٢/٣ كِتَابُ الْأَيْمَانِ– بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ (١٦٦١).

[2] عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠٩/١.

أشار النبي –صلى الله عليه وسلم– إليها عندما أوضح أن المؤمن يحس بأن ذنبه جاسم على صدره كالجبل، أما الفاسق فيحسه كأنه ذبابة عابرة مرت على وجهه، ففي مثل هذا النمط من الإحساس بالذنب تظل شدة الإحساس به أكثر سوية من حيث الصحة النفسية من الإحساس العابر به؛ والسر في هذا يعود إلى طبيعة إلهامية الخير والشر في تركيبة الآدمي؛ حيث ينفر من الذنب بقدر وَعْيه السليم بمفارقته مصحوبا بالتصميم على عدم العود إليه"[1].

وقول النبي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**" يوضح غضب النبي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من تلك الفعلة يدل على ذلك دلالات التراكيب؛ فالنداء للبعيد بـ(يا) يُذكِّر أبا ذر بمنزلته العظيمة في الإسلام؛ مما يساهم في مزيد من إلقاء اللوم عليه والعتاب، فما كان لمثله أن يفعل ذلك، ولو قال: "**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟**" دون الإتيان بأداة النداء للبعيد، وإتباعها بذكر المنادى بكنيته، لما كان له ذاك الوقع شديد الأثر على نفس المخاطب، فالنداء وذكر المنادى بكنيته هنا له مزيد أثرٍ من اللوم والتقريع، والجملة إنشائية طلبية بدأها بالنداء وختمها بالاستفهام التوبيخي، وتبدو بلاغة الاستفهام التوبيخي في بيان غضب النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مما فعل أبو ذر –رضي الله عنه–؛ مما يوضح للمخاطب وللمؤمنين جميعا أن المعايرة من الذنوب العظيمة؛ لما فيها من الكبر واستحقار ما خلق الله –عز وجل– هذا ومن جانب آخر فإن فيه إنذارا لأبي ذر –رضي الله عنه– لما عُلِمَ من مكانته؛ حتى لا يعود لمثلها أبدا.

---

[1] دراسات في علم النفس الإسلامي د/ محمود البستاني ص٢٥٢ ط٢ دار البلاغة، بيروت– لبنان ١٤١١هـ ١٩٩١م.

وجملة: "**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**" خبر إنكاري مؤكد بـ(إنَّ) واسمية الجملة ينص على أن المعايرة واستنقاص الناس من أفعال الجاهلية وخصالها، ويدفع توهم غير ذلك، وينبئ من طرف خفي عن غضب النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ لصدور تلك الفعلة ممن يحب غضبا بالحق لله –تعالى–، فلم يكن –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يغضب لغير الحق، فغضبه تعليمي يؤسس به دستورا من الحكمة لأمته عنوانه: افعل ولا تفعل، تشريع يضمن الحقوق والواجبات، ويترك وراءه أمة تتسم بالسواء النفسي **فـ"الانفعالات تتصل بدوافع السلوك اتصالا وثيقا... والشخصية المتكاملة هي التي يتسم سلوكها وتصرفاتها ودوافعها بالاتزان الانفعالي"**[(١)].

وإذا نظرتُ إلى غضب الرسول –صلى الله عليه وسلم– أجده غير غضب البشر جميعا، فقد أَتْبع اعتراضه على الفعل بالتلطف بالنصح والإرشاد فقال: "**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**"[(٢)].

حيث بدأ توجيهه بجملة: "**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**[(٣)]" وهي اسمية تفيد الثبوت يؤكد بها المعنى من اتخاذ الخادم أخا؛ تواضعا وتراحما، واختص لفظة (الخَوَل) دون غيرها من الألفاظ الدالة على المعنى؛ لأن "**الخَوَل: هم الذين يختصون بالإنسان من جهة الخدمة والمهنة، ولا يقتضي الملك كما**

---

(١) ينظر: الشخصية في سوائها وانحرافها د. مصطفى فهمي ص٢٦ .

(٢) صحيح البخاري ٢٦/١ كتاب الإيمان– بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ (٣٠) .

(٣) الخَوَل: اسم يقع على العبد والأمة...، ما أعطى الله –تعالى– الإنسان من العبيد والخدم/ اللسان مادة (خول).

تقتضيه العبيد؛ ولهذا لا يقال: الخلق خَوَل الله كما يقال عبيده"[١]، وقدَّم لفظ "**إِخْوَانُكُمْ**"؛ للحصر على سبيل العناية به؛ أي ليسوا إلا إخوانكم؛ بحيث يسلط الضوء عليه ؛ لتدور في فلكه المعاني كلها التي ستأتي بعده؛ فالمنطلق كونهم إخوانا، وأتبعها بجملة: "**جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ**"، متجوزا باليد عن القدرة بالتملك والسيطرة على سبيل المجاز المرسل، والتحتية توحي بضعف المملوك وقلة حيلته؛ لذا حثَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– على الإحسان إليهم، وعلى تجنب استغلال ضعفهم في الاستعلاء عليهم بالإذلال، وفي التعبير بلفظ الجلالة (الله) دون غيره إشعار بسلطة الله – تعالى– وقدرته؛ حتى يستفيق من استعظم نفسه؛ فينتبه إلى عظمة الله – تعالى–، ثم أتبعها بجملة شرطية قائلا: "**فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ**" والأمر فيها على سبيل النصح والإرشاد يقول الشارح: "**من للتبعيض، فإذا أطعم عبده مما يقتاته كان قد أطعمه مما يأكله، ولا يلزمه أن يطعمه من كل مأكوله على العموم من الآدم وطيبات العيش، لكن يستحب له ذلك**"(٢)، وعطف على جواب الشرط قوله: "**وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ** "، والأمر ترغيبي للنصح والإرشاد؛ لتقويم النفس وردعها عن ترك الخادِم معدما يرى ويتحسر على ما اختصَّ به المخدوم نفسه من التعالي في الملبس والمأكل.

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٢٢١.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني ١١٦/١ ط٧ المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة– مصر ١٣٢٣ هـ .

وحذف المفعول الثاني من قوله: "**فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ**"؛ للاكتفاء؛ وهو: "**حذف بعض الكلام؛ لدلالة الباقي على الذاهب**"[1]؛ إذ الأصل: (فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ ما يغلبهم فَأَعِينُوهُمْ) فحذف ؛ لدلالة ما سبق ذكره عليه، هذا وقد امتثل أبو ذر –رضي الله عنه– لما أمره به رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ فغضبُ النبي –صلى الله عليه وسلم أدى وظيفته، وآتى أكله؛ "**فاستجابة السامعين والعارفين بموضوع الغضب هي أكبر وأسرع في الحالة الانفعالية الغضبية منها في الحالة العادية، والموجِّه أو المربي يحتاج في كثير من الأحيان إلى الانفعال؛ للوصول إلى مخرجات تربوية، كما أن الانفعال الذي يُنتج هذه المخرجات هو الانفعال الطبيعي لا المصطنع**"[2].

وقد ظهرت دلائل السمع والطاعة على أبي ذر –رضي الله عنه–؛ فشوهد وعلى غلامه مثيل ثوبه، حُلّةٌ اقتسماها، وذاك دليل على سماحة نفس الصحابي –رضي الله عنه– وحبه لله ورسوله، فتلك نفوس ترفعت عن الدنايا، وقد كان لتربية النبي –صلى عليه وسلم– وتوجيهه الدائم للمسلمين أثرا في تقويم النفوس، فالنفس البشرية تتفاعل مع مربيها ومعلمها ومحيطها الاجتماعي، وعلى إثر ذلك التفاعل يتشكل السلوك.

****

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني– تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد م١/١/٢٥١ ط٥ دار الجيل بيروت– لبنان ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م، وينظر: الشفاء في بديع الاكتفاء لشمس الدين النواجي– تحقيق: د. محمود حسن أبو ناجي ص٢٣ ط١ دار مكتبة الحياة– بيروت– لبنان ١٤٠٣هـ .

(2) الانفعالات التشخيص والعلاج ص٤٠.

ومن موقف لآخرٍ استدعى التدخل من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ؛ للإرشاد ما روي أنه:

"حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ[(١)] قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ؛ فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ"(٢).

استُهِل الحديث الحواري بشكوى من أحد الرجال مُناديا: "**يَا رَسُولَ اللَّهِ**" بـ(يا) النداء للبعيد؛ تعظيما لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأتبعها بالجملة الخبرية: "**لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ**" فاصلا بين الجملتين لكمال الانقطاع؛ فالأولى إنشائية طلبية، والثانية خبرية، وقد علَّل لعدم إدراكه الصلاة في جماعة بعلةٍ أثارت غضب النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهي قوله: "**مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ**"، ولم يُسمه؛ تسامحا ودفعا لاحتمال إثارة غضبه، فتلك أخلاق الصحابة –رضي الله عنهم– التي تتميز بالسواء النفسي، فلم يغتنم الفرصة ليكيل لصاحبه، ولكنه اشتكى بلطف وأدب وحسن خلق.

---

(١) أَبُو مَسْعُود الأنصاري: (عقبة بْن عَمْرو بْن ثعلبة أَبُو مَسْعُود البدري، وهو مشهور بكنيته، ولم يشهد بدرًا وَإنما سكن بدرًا، وشهد العقبة الثانية، وكان أحدث من شهدها سنًا، وسكن الكوفة وكان من أصحاب عليّ، واستخلفه عليّ عَلَى الكوفة لما سار إِلَى صفين، روى عَنْهُ عَبْد اللَّه بْن يَزِيدَ الخطمي، وَأَبُو وائل، وعلقمة، ومسروق، وعمرو بن ميمون، وربعيّ بن حراش وغيرهم)/ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣/٥٥٤.

(٢)صحيح البخاري ١/٤٩ كتاب العلم– بَابُ الغَضَبِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ (٩٠).

يقول الراوي: "**فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ**"، وهو قول مؤكد؛ حيث استخدم في التعبير عن الغضب صيغة (أفْعَل) في قوله: "**أَشَدَّ غَضَبًا**"؛ مما يبين بالغ تأثر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشكوى، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يغضب لغضب المؤمنين، ويحزن لحزنهم ما لم تنتهك حرمات الله -تعالى-، فمشاركته الاجتماعية بالوجدان أولا، ثم بالتقويم قولا وفعلا، نصحا وإرشادا، "**وسبب شدّة غضبه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إما؛ لمخالفة الموعظة لاحتمال تقدّم الإعلام بذلك، أو للتقصير في تعلم ما ينبغي تعلمه، أو لإرادة الاهتمام بما يلقيه على أصحابه؛ ليكونوا من سماعه على بال؛ لئلا يعود من فعل ذلك إلى مثله**"(١)، فقال - صلى الله عليه وسلم-: "**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ**"، بحذف أداة النداء؛ لما استدعاه الموقف من سرعة الخطاب، وعلى الرغم من شدة غضبه إلا أنه عمَّم النداء للناس جميعا، ولم يخص المشكو منه؛ تلطفا منه -صلى الله عليه وسلم-؛ ومنعا لحدوث الحرج للمقصود إذا خوطب بالتأنيب؛ مما يوضح أن غضب النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن غضبا انفعاليا يخرجه عن حيز المألوف،فقد اتسم بالرحمة وتحلى بكمال الصفات، فوعَظَ وعلَل لعظته؛ ليرسخ للتراحم في قلوب المؤمنين.

وجملة "**إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ**" خبر إنكاري مؤكد بـ(إنَّ) واسمية الجملة؛ لدفع توهم أن التطويل في الصلاة خير في كل الأحوال، وحتى يتيقن المؤمنون من ذلك فلكل حال ما يناسبها؛ فالصلاة بعامة المسلمين حيث المريض والضعيف وأصحاب الحاجة يحسن فيها التقصير، "**ولم يكن نهيه -صلى الله عليه وسلم- عن الطول فى الصلاة من أجل أنه لا يجوز ذلك؛ لأنه**

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني ١/١٨٩.

كان –صلى الله عليه وسلم– يصلي فى مسجده، ويقرأ بالسور الطوال، مثل سورة يوسف وغيرها، وإنما كان يفعل هذا؛ لأنه كان يصلي معه جلةُ أصحابه، ومَن أكثر همه طلب العلم والصلاة"(١).

ثم أَتبع الجملة المؤكدة بأخرى شرطية قائلا –صلى الله عليه وسلم–: "**فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ**" وخصَّ المريض والضعيف وذا الحاجة؛ لجمعهم الأصناف المقتضية لتخفيف الصلاة؛ ففيهم استيفاء الأقسام بالذكر(٢)؛ فالمرض عارض يحول دون الوقوف الطويل، والضعف لازم في بنية الجسد يحول دون القدرة على الصمود، والحاجة طارئ من الخارج يرد الفرد عن ذلك أيضا، ولا رابع لتلك القسمة؛ فإما عارض على الجسد يطول أو يقصر وهو المرض، وإما لازم للجسد وهو الضعف، وإما طارئ يطرأ وهو الحاجة، فمراعاة النبي –صلى الله عليه وسلم– لأحوال أمته دليل قاطع على رحمته ولين قلبه، فقد ضرب لنا أقوى الأمثلة في حل المشكلات وإدارة الأزمات وحسن الخلق.

****

- وهذا موقف ثالث يبين لنا أيضا كيف كان النبي –صلى الله عليه وسلم– معلما ناصحا حتى في غضبه:

"**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أبو عامر، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ المَدِينِيُّ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى المُنْبَعِثِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَأَلَهُ رَجُلٌ**

---

(١) شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف ابن بطال– تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم ١٧١/١ ط٢ مكتبة الرشد– الرياض– السعودية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) "بحيث لا يتصور للمُقسَّم قسم آخر غير ما ذُكِر"/ شرح مواهب الفتاح٥٢٦/١.

عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: اعْرِفْ وِكَاءَهَا، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ المَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا، قَالَ: فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذِّئْبِ"(١).

"**قَوْله: (سَأَلَهُ رجل) هُوَ عُمَيْر وَالِد مَالك**"(٢)، واللقَطَة: "**اسم المال الملقوط؛ أي الموجود**"(٣)، وقوله: "**فَقَالَ: اعْرِفْ وِكَاءَهَا، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا**"، القائل: هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، والعطف بـ(أو) شكٌّ من الراوي (زيد بن خالد الجُهَني(٤))؛ أي قال النبي: اعرف وِكَاءَها، أو قال النبي: وِعاءَها، والوِكَاء: "**ما يُشَد به الكيس وغيره**"(٥).

والعِفَاص: "**الْوِعَاء الَّذِي يكون فِيهِ النَّفَقَة إِن كَانَ جلدا أَو خرقَة أَو غير ذَلِك**"(٦)، والأمر في ذلك على الوجوب؛ إذ يجب على من همَّ بالتقاط اللقطة أن يعرف رسمها من وِكاءٍ وعِفَاص، ومحتواها من مقدار؛ حتى يردها

---

(١) صحيح البخاري ٤٩/١ كتاب العلم– بَابُ الغَضَبِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ (٩١).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١٠/٢.

(٣) اللسان مادة (لقط).

(٤) (زيد بْن خَالِد الجهني. يكنى أبا عبد الرحمن،أو أَبَا زرعة، أو: أَبَا طلحة، سكن المدينة، وشهد الحديبية مَعَ رَسُول اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم–، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، روى عنه من الصحابة السائب بْن يَزِيدَ الكندي، والسائب بْن خلاد الأنصاري، وغيرهما)/ ينظر: أسد الغابة ١٣٣/٢.

(٥) اللسان مادة (وكأ).

(٦) اللسان مادة (عفص).

لصاحبها إذا وجده، و"**ليعرف صدق واصفها من كذبه؛ وَلِئَلَّا يخْتَلط بِمَالِه، وَيسْتَحب التَّقْيِيد بِالْكِتَابَةِ خوف النسْيَان**"، وفي رأيٍ أن معرفتها مستحبة، وعليه يكون الأمر للنصح والإرشاد؛ فـ"**عَن ابْن دَاوُد من الشَّافِعِيَّة: أَن مَعْرفَتهَا قبل حُضُور الْمَالِك مُسْتَحبّ، وَقَالَ الْمُتَوَلِي: يجب مَعْرفَتهَا عِنْد الِالْتِقَاط، وَيعرف أَيْضا الْجِنْس، وَالْقدر، وَطول الثَّوْب وَغير ذَلِك، ودقته، وصفاقته**".

وأميل للرأي القائل بالوجوب؛ إذ كيف يُعرِّفها سنة دون معرفة هيئتها الخارجية ومضمونها الداخلي، فلابد من معرفة رسمها ومحتواها حتى يتحقق له معرفة صاحبها بالتيقن لا بالظن، وذاك من حفظ أموال المسلمين.

والنبي –صلى الله عليه وسلم– يضع أسسا فقهية للتعاملات الاجتماعية بين المسلمين، أُسسا تُزيل الضغينة من النفوس؛ إذ لو كانت اللقطة لمن وجدها على الفور؛ لضاع حق صاحبها ولثارت حفيظته واشتد غيظه، ولكن النبي –صلى الله عليه وسلم– يُربي النفوس؛ ليُخرج أمة تتحلى بالصحة النفسية جُبِلت على حُب الحق وعلى الرضا والقناعة.

والأمر في قوله: "**ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً**"؛ للوجوب، و"**عرفهَا: أَي للنَّاس، بِذكر بعض صفاتها فِي المحافل: (سنة)، أَي: مُتَّصِلَة، يعرفها كل يَوْم مرَّتَيْنِ ثمَّ مرّة، ثمَّ فِي كل أُسْبُوع، ثمَّ فِي كل شهر فِي بلد اللقط**"(١).

والأمر في قوله: "**ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا**" للإباحة، وفي قوله: "**فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ**" للوجوب، وذاك من عدل الشريعة الإسلامية؛ فقد ضمنت حفظ الحقوق لأصحابها ولو بعد حين، تلك الشريعة التي تتمخض عن أمة سوية العقل والنفس تعرف الحق فتتبعه، وترى الباطل فتجتنبه.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١١/٢.

قَالَ؛ أي السائل:

فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ و"لَا يَقع اسْم الضَّالة إِلاَّ على الْحَيَوَان. يُقَال: ضل الْإِنْسَان وَالْبَعِير وَغَيرهمَا من الْحَيَوَان وَهِي الضوال، وَأما الْأَمْتِعَة وَمَا سوى الْحَيَوَان فَيُقَال لَهُ: لُقَطَة، وَلَا يُقَال: ضال"(١).

الأصل في استفهامه: (فضالة الإبل ما حكمها؟)، وربما يعود السر البلاغي للحذف؛ للاحتراز عن العبث؛ رغبة في الإسراع لمعرفة الحكم، فالسائل لا يشغل عقلَه سوى معرفة الأشياء التي سيمتلكها إذا التقطها، وربما كان ذاك هو سبب غضب النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول الراوي: "**فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ**"؛ وذاك لأن الإبل ترعى بنفسها في الصحراء، وتتحمل نُدرة النبات وقلة المياه، فهي تصبر على أحلك الظروف؛ لطبيعة اختصها الله –تعالى– بها، فإذا كان أمرها كذلك فلا داعي لأن تُلتَقط، والسائل على علم بذلك؛ فهو عربي لا تخفى عليه صفات الإبل وطبيعتها، لذا قال له النبي –صلى الله عليه وسلم– : "**وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ المَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا**".

والجملة الأولى إنشائية استفهامية تعجبية؛ تُظهر عجب النبي –صلى الله عليه وسلم– من سؤال السائل، أتبعها بتوضيح سبب العجب في الجمل التالية؛ فهي حرة طليقة ترعى من نعم الله –تعالى–، لذا كان الأمر في قوله: "**فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا**"؛ للوجوب؛ أي دعها حتى يجدها صاحبها.

ومع غضب النبي –صلى الله عليه وسلم– من سؤال السائل إلا أنه يجيب ويشرح الجواب موضحا العلة، فلم يحمله غضبه على الثورة أو الإساءة للسائل، بل كان معلما حكيما في كل أحواله، فالنبي –صلى الله عليه وسلم–

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١١/٢.

يعلمنا كيفية التعامل وقت الغضب، **فـ"للغضب طبيعة نارية متوقدة داخل النفس، تعبر عن ذلك بمظاهر أقرب ما تكون للنار"**[١]، ولكن ذلك لا ينطبق على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ فأقواله وأفعاله المتزنة بالرغم من الشعور بالغضب خير دليل على تحلّيه بالكمال.

****

- **وذاك موقف غاضب عالجه النبي –صلى الله عليه وسلم– بالصبر على الإيذاء، فقد روي أنه:**

حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"(٢).

قسمَ النبي –صلى الله عليه وسلم– قسمة، فزاد للمؤلفة قلوبهم، فقد رُوي: **"لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ الرسول –صلى الله عليه وسلم– أُنَاسًا فِى الْغَنِيمَةِ، وَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى الْقِسْمَةِ"**(٣).

"فقال رجل: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ":

---

(١) الانفعالات التشخيص والعلاج من المنظور الإسلامي أ.د/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي ص١٤.

(٢)صحيح البخاري ١٥٧/٤ كِتَابُ أحاديث الأنبياء– بَابُ حَدِيثِ الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ (٣٤٠٥).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣١٨/٥.

الرجل المقصود: "**هو معتب بن قشير المنافق**"(١)، ولم يُسمه في الحديث؛ لاستهجان التصريح باسمه، وقد نكَّر لفظة "**رجل**"؛ تحقيرا لشأنه، وقوله: "**إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ** " قول مؤكَّد بأكثر من مؤكِّد، وهذا التأكيد يعود على المعنى ببيان فساد ما في قلب الرجل؛ إذ إن تقسيم النبي –صلى الله عليه وسلم– كان لحكمة؛ فقد كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حريصا على تأليف القلوب بهدايتهم إلى الإسلام خاصة زعماء القوم منهم؛ لينشروا الدعوة في ممالكهم ولأتباعهم، وبما أن اللسان أداة التعبير عما يجول في النفس، وما وطن في القلب؛ فالقول المؤكد من الرجل الذي جرى به مجرى الخبر الإنكاري، وكأنه يزيل به الشك من اعتقاد غيره لا يدل إلا على فساد عقيدته وسوء ما بنفسه؛ فلو آمن بقلبه حق اليقين لما اتهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بمثل هذا القول.

" **فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ**"

أخبر الراوي النبي –صلى الله عليه وسلم– بما كان من الرجل؛ لأنه أشبه بالكفر فقد اتهم الرجل النبي –صلى الله عليه وسلم– بالظلم، فمن يعدل إذا لم يعدل رسول الله! وقد غضب النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى شُوهد آثار الغضب في وجهه، وقد ندِم الراوي على إخباره لما رأى أثر ذلك على النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ ففي رواية مسلم: "**قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ**

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٢٧/٥.

حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَذْكُرْهُ لَهُ"[١]، وتمنيه عدم الإخبار دليل على صدق محبته لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ فقد تمناه لما رأى أثر الضرر الواقع عليه إثر معرفته بذلك، وذلك قول يوضح البون بين النفوس؛ ففارق بين من أخلص الحب والصداقة ومن تظاهر بهما.

ولم يعاقب النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الرجل، بل عالج غضبه بكظم الغيظ صبرا، فقال –عليه الصلاة والسلام–: "**يَرْحَمُ اللَّه مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**" والدعاء هنا بالجملة الخبرية وفعلها مضارع؛ لإخراجه مخرج الحاصل المتجدد في كل وقت، واختص سيدنا موسى –عليه السلام– ؛ لعظيم صبره على إيذاء قومه، "**والعلاج بالكظم: هو إحداث مقاومة ذاتية داخلية تؤدي إلى إضعاف انفعال الغضب وتهدئته، وتمنع الإنسان من رد الفعل والتشفي**"[٢] والصبر من الأدوية المعنوية الناجعة لكثيرٍ مما يصيب الإنسان، وهو من أنفعها في حال الغضب، فقد روي عن رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنه قال: "**ما من جُرعة أعظم أجرا عند الله، من جرعة غيظٍ كظمها عبد؛ ابتغاء وجه الله**"[٣] **(صحيح).**

******

وذاك موقف آخر اقتضى من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن يخطب في الناس واعظا:

---

[١] صحيح مسلم ٢/٧٣٩ كتاب الزكاة– بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ (١٠٦٢) .

[٢] الانفعالات التشخيص والعلاج أ.د/ عبد العزيز بن محمد النغيميشي ص٢٤.

[٣] صحيح وضعيف سنن ابن ماجة لمحمد ناصر الدين الألباني ٩/١٨٩ (٤١٨٩) ط١ مركز نور الإسلام بالأسكندرية– مصر د.ت.

"حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا"[1].

قول السيدة **"عَائِشَة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ"** يدل على بالغ الحيرة والقلق الذي أصابهم؛ خشية إقامة الحد على تلك المرأة،**"وَهِي فَاطِمَة بنت الْأسود بن عبد الْأسد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، وَهِي بنت أخي أبي سَلمَة بن عبد الْأسد الصَّحَابِيّ الْجَلِيل الَّذِي كَانَ زوج أم سَلمَة قبل النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-"**[2]، فقد كانت ذات شأن عندهم، يدلني على ذلك القلق النفسي الذي أصابهم لفظة **(أَهَمَّتْهُمُ)**؛ **فـ"الهاء والميم أصل صحيح يدل على ذوب وجريان ودبيب... وأما الهم الذي هو الحزن فعندنا من هذا القياس؛ لأنه كأنه لشدته يَهُمُّ؛ أي يذيب...، وأهمني: أقلقني، والقياس واحد."**[3]، فقد أقلقهم أمر المرأة قلقا عظيما دفعهم إلى اللجوء للتشفيع فيها برجل من أحب

---

[1] صحيح البخاري ٢٤٩/٤ كِتَابُ الحدود- كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِي الحَدِّ إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ (٦٧٨٨).

[2] عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٧٨/٢٣.

[3] مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس٦/ ١٣.

الرجال إلى قلب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ ليُسقط عنها حد السرقة، تقول السيدة عائشة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: "**فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ**[(١)]**، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–**"، والجملتان الاستفهاميتان تفيدان استبعاد حصول الفعل من غير أسامة بن زيد –رضي الله عنه–، وقد وصلت الرَاوِية بينهما؛ للتوسط بين الكمالين فكلتاهما إنشائية استفهامية، والاستفهام يعكس الحيرة التي وقعوا فيها، واستخدامهم لفظة **(يَجْتَرِئُ)** دون غيرها من الألفاظ؛ لأن "**الجرأة: قوة القلب الداعي إلى الإقدام على المكاره**"[(٢)] فهم يعلمون أن ما يقدمون عليه أمر جلل لا يُستهان به.

"**فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–**": تعني (أسامة بن زيد)، والماضي يفيد تحقق وقوع ذلك منه، فقد تشفَّع في إقامة الحد على المرأة، وما كان ذلك منه إلا لضغط القوم عليه، و"**تعد الضغوط الداخلية أو الخارجية مثيرات يستجيب لها الإنسان استجابات مختلفة تبعا لخصائصه من جهة، وطبيعة تلك الضغوط وشدتها من جهة أخرى**"[(٣)].

"**فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟**"

القائل هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، والقول استفهامي إنكاري؛ ينكر على أسامة بن زيد –رضي الله عنه– تشفعه في حد من حدود الله –تعالى–

---

(١) "أسامة بن زيد بن حارثة... أمه أم أيمن حاضنة النَّبِيّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فهو وأيمن أخوان لأم، يكنى أسامة: أبا مُحَمَّد...، وهو مولى رَسُول اللَّهِ من أبويه، وكان يسمى: حب رَسُول اللَّهِ."/ أسد الغابة ٧٩/١.

(٢) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٣٧ .

(٣) الضغوط النفسية ومواجهتها د. محمد علي كامل ص١٦.

،وفي إضافة كلمة (حدود) للفظ الجلالة تعظيم ومهابة يضفي على الاستفهام مزيدا من الإنكار، وعلى الشافع في ذلك مزيدا من اللوم والعتاب.

"ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ".

العطف بـ(ثم) يفيد التراخي بين عتابه لأسامة بن زيد وشروعه في الخطبة، وربما عاتبه فأفهمه، واستغفر له ثم قام في الناس خطيبا؛ ففي صحيح مسلم: **"وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، وَاللَّفْظُ لِحَرْمَلَةَ، قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟، فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ، قَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاخْتَطَبَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا، قَالَ يُونُسُ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدُ، وَتَزَوَّجَتْ،**

وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–"[١].

والنداء في قوله: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**"؛ للتنبيه، واستخدامه –صلوات الله وسلامه عليه– لأسلوب القصر في قوله: "**إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ**" ليس لبيان أن سبب ضلال السابقين محصور في إقامتهم الحد على السارق خامل الذكر، وعفوهم عن السارق ذي الحسب والنسب؛ فأسباب هلاكهم أكثر من ذلك، ولكنه حصره حصرا ادعائيا[٢]؛ للمبالغة في بيان جرم تلك الفعلة؛ إذ فيها هدم للقيم بوضع الفوارق الاجتماعية بين الطبقات، والتأسيس للظلم، وهدم العدالة، وهو مع المبالغة في ذلك استخدم من طرق القصر (إنما)، وهي للأمور المسلم بها؛ تنزيلا للمنكر منزلة غير المنكر؛ ليجعل من قوله هذا أمرا بدهيا لا يحتاج إلى تأكيد؛ تنبيها لمن طلب الشفاعة فيها أنه ما كان ينبغي لهم طلب ذلك في حد من حدود الله –تعالى–.

وفي الجملتين مقابلة بين "الشريف والضعيف، وتركوه وأقاموا عليه الحد"، ومن بلاغة المقابلة أنها تظهر البون الشاسع في تعاملات الهالكين ممن سبقوا؛ فقد كانوا يكيلون بمكيالين على حسب المكانة المجتمعية لمن استحق العقاب، وكان ذلك من أسباب هلاكهم.

---

[١] صحيح مسلم ١٣١٥/٣ كِتَابُ الْحُدُودِ– بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ (١٦٨٨).

[٢] "القصر الادعائي: ما كان القصر الحقيقي فيه مبنيًّا على الإدعاء والمبالغة؛ بتنزيل غير المذكور منزلة العدم، وقصر الشيء على المذكور وحده." الإيضاح للخطيب– شرح: محمد عبد المنعم خفاجي ٦/٣.

إن غضب النبي –صلى الله عليه وسلم– لتلك الفعلة منحهم درسا لم ينسوه ولن ينساه كل مؤمن مستمسك بشريعته، فكل جملة من أقواله –صلى الله عليه وسلم– تعالج خللا كاد يتغلغل في النفوس لولا أن اجتثه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بتقويمه وإرشاده، بدأه بنبرة متوسطة ذكَّرهم فيها بالأمم السابقة، ثم علت نبرته لتناسب حدة الموقف قائلا: "**وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**" مستخدما الخبر الإنكاري المؤكد بالقسم؛ لردعهم عما يجول في خاطرهم، وقطعه ذلك الطريق أمامهم قطعا يحول دون خوضه مرة أخرى، مختصا السيدة فاطمة –رضي الله عنها–؛ لعظيم منزلتها في قلب النبي –صلى الله عليه وسلم–، ففي الحديث الشريف: "**حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**"[1]، ولعظيم منزلتها في قلبه – صلوات الله عليه– ضرب بها المثل؛ ليكون ذلك أشد ردعا لهم، وأبلغ بيانا لحرمة التهاون في حدود الله –تعالى–؛ منعا للتلاعب بها على حسب الأهواء، فأي غضب هذا الذي يقيم الحدود ويحفظ الحقوق، ويُعلِّم الصواب، ويمنع الفساد، إنه غضب الصادق الأمين الذي بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، لم يكن انفعاله لهوى يصيبه، ولا لاستعلاء بمكانته أو قوته، بل علمنا كيف نكظم الغيظ، ونوجه الغضب توجيها سديدا يصلح الخلل، ويدرأ المفاسد، ويشد عضد الأمة بإقامة شرع الله –تعالى–.

****

[1] صحيح مسلم ١٩٠٣/٤ كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ– بَابُ فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ –عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– (٢٤٤٩).

-نموذج من تسامح النبي –صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ –وَالعَرَقُ المِكْتَلُ– قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا –يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ– أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"[١].

لا أصف بذاك الحديث الشريف حالة الغضب، ولكن هو نموذج –وغيره كثير– على حسن تعامل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع البشر، بدأ الراوي الحديث القصصي الحواري بوصف الحالة التي كانوا عليها؛ فقد كانوا مجتمعين عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– جلوسا "**إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ**" **"قيل: إنه سلمة بن صخر أو سلمان بن صخر أو أعرابي"**[٢]**، ونكَّر لفظة**

---

[١] ٤١/١ صحيح البخاري–كتاب الصيام– بَابُ إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ، فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ (١٩٣٦).

[٢] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣٧٧/٣.

(رجل)؛ لأنه "**لا يتعلق بتعيينه غرض**"[1]، ويبدو سره البلاغي في الستر عليه؛ فقد وقع في معصية، وحاله يقتضي عدم التشهير به؛ فلم يذكر الراوي اسمه، وتلك من آداب الصحابة وأخلاقهم، فأقوالهم وأفعالهم تصدر من نفوس سوية.

ونداء الرجل للرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ**" بـ(يا) النداء للبعيد؛ تعظيما للنبي –صلى الله عليه وسلم–، وفيها مزيد من التنبيه إلى أمر عظيم يُثقِل كاهل الرجل، ويريد أن يلقيه على النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ ليخفف الهم الذي أصابه، وقوله: (هلكْتُ) ماض يفيد تحقق شعوره بالهلاك لذنبٍ ارتكبه لا يدري كيف الخلاص منه.

فأقبل عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– مستفهما "**قَالَ: مَا لَكَ؟**" وإقباله –صلى الله عليه وسلم– بالحوار من إغاثة الملهوف، فلم يعرض عنه منشغلا بغيره، وقد كان في مجلس الصحابة، بل أجابه مستفهما عما أصابه، والاستفهام على حقيقته يستنطق به المخاطب؛ ليعلم سبب هلعه، فأفصح الرجل قائلا: **قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ**"، والجملة مفصولة عن سابقتها وكذا كل قول في الحديث؛ للاستئناف البياني، فالقول يقتضي سؤالا يجول بالخاطر فحواه: ماذا قال؟ وبماذا أجاب؟ فهو من شبه كمال الاتصال، وهو موضع يتجلى بارزا في الحوار بين طرفين أو أكثر يضفي على الحوار تسلسلا وانسيابية يُستغنى بها عن الواو العاطفة، وقول الرجل: "**وَأَنَا صَائِمٌ**" جملة حالية بيَّنت سبب المأزق الذي وقع فيه الرجل، وتلك جملة

---

[1] بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي م١/١/٩٣ ط١٧ مكتبة الآداب بالقاهرة– مصر ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

لا تحسن إلا بالواو، والجملة مع قوله السابق: "**هلكتُ**" توضح أنه كان صائما صيام الفرض في شهر رمضان، وقوله: "**وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي**" كناية عن الجماع، والاستفهام في الجمل التالية: "**فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لاَ**" استفهام على حقيقته يطلب به جوابا؛ ليعرف به حال السائل، وأي كفارة تناسبه، وقول الراوي: "**فَمَكَثَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ –وَالعَرَقُ المِكْتَلُ–**" قيل: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمره بالجلوس؛ "**لانتظار الوحي في حقه، أو كان عرف أنه سيُؤتى بشيء يعينه به**"[١].

"**قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا –يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ– أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**".

سماه النبي –صلى الله عليه وسلم– سائلا؛ "**لأن كلامه متضمن للسؤال فإن مراده هلكت فما ينجيني أو ما يخلصني؟**"[٢]، وقول الرجل: "**أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**" استفهام تعجبي، فقد رأى نفسه وأهل بيته أفقر من أن يتصدقوا على غيرهم موضحا ذلك بالتعليل المؤكد بالقسم قائلا: "**فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا –يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ– أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**"، و"**اللابتان: حَرَّتان تكتنفان الْمَدِينَة، وَهِي تَثْنِيَة: لابة**"[٣]، و"**الحَرَّة: أرض بظاهر**

---

[١] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣/٣٧٧.

[٢] السابق ٣/٣٧٨.

[٣] عمدة القاري ١١/٣١.

المدينة بها حجارة سود كبيرة"[1]، فالقول المؤكد بالقسم يدفع به توهم كذبه وادعائه الفقر ، وقوله هذا يعد مفارقة نفسية تثير العجب، فقد بدأ حديثه مع النبي –صلى الله عليه وسلم– بالخوف والقلق الشديد فناداه بـ(يا) للبعيد قائلا: (هلكت) موضحا سبب خوفه وهو وقوعه على أهله صائما، ولكن شعور الخوف والقلق لم يستمر كثيرا؛ إذ رأى من النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– الإرشاد لحلول تلك المشكلة بسماحة نفس وتواضع لا بكبر واستعلاء، فلم ينهره النبي ولم يقلل من شأنه أمام الصحابة، ومن هنا بدأت الطمأنينة تسري في نفسه وتتوطن صدره؛ فتحوَّل من شخص خائف متوجس العقاب إلى شخص ذي أمل في نيل الصدقة له ولأهله، فطريقة تلقي الخائف والمذعور وذي الحاجة تؤثر في نفسه بالسلب أو الإيجاب، وقد كان للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– باع طويل في طرق التعامل مع البشر لو قمنا بعرضها على نتاج علماء النفس وخبراء التربية والتعليم لوجدنا أنها سبقت إبداعهم بزمن طويل.

وانظر إلى سماحة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وتفاعله مع الرجل بمشاعره؛ **"فَضَحِكَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"**، **"وَقيل: إِن سَبَب ضحكه –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– كَانَ من تبَاين حَال الرجل، حَيْثُ جَاءَ خَائفًا على نَفسه رَاغِبًا فِي فداها مهما أمكنه، فَلَمَّا وجد الرُّخْصَة طمع أَن يَأْكُل مَا أعْطِيه فِي الْكَفَّارَة، وَقيل: ضحك من حَال الرجل فِي مقاطع كَلَامه، وَحسن تَأتيه وتلطفه فِي الْخطاب، وَحسن توسله فِي توصله إِلَى مَقْصُوده"**[2].

---

[1] اللسان مادة (حرر).

[2] عمدة القاري ٣٤/١١.

وقول النبي–صلى الله عليه وسلم– **"أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"**؛ للإباحة، فقد رخَّص له فيها وهو ضاحك الوجه لا قاطبه؛ مما يطيب معه أكل تلك الصدقة، فلو قطب وجهه أو خاطبه بما يكره لما استساغها الرجل ولا أهله، ولكنه –صلى الله عليه وسلم– يعلِّم أمته كيف تُعطَى الصدقة وكيف يكون التسامح.

المبحث الثالث

العلاج الرباني للغضب

إن أنفع العلاجات لانحراف الانفعالات لدى الإنسان هي العلاجات الربانية؛ فهو أعلم بخلقه قال تعالى: **"أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (الملك ١٤).**

إن كل نفس يلزمها أن تعالج غضبها، وعلاج الغضب أوله العلم بضرره في الدين والدنيا، فتبعات الغضب تقود إلى الانفعال المُذهِب للحسنات، والجالب للسيئات، فهو مُنفر للقُريب والحبيب، يُخيف الصغير، ويؤلم الكبير؛ فضرره أكبر من نفعه؛ **"حيث تفرز الغدد الصماء هرمونات مثل الأدرينالين تزيد عن حاجة الجسم الطبيعي إليها أثناء الغضب، حيث كانت هذه الهرمونات مخصصة لعملية البناء في الجسم، واستخدامها للدفاع عنه عند الحاجة؛ مما يؤدي إلى ضعفٍ في مناعة الجسم، وكلما طالت فترة الغضب زاد إفراز هرمون الأدرينالين في الدم؛ مما يزيد من نسبة التوتر والنشاط الجسماني، ويبقى أثر هذا الهرمون لفترة طويلة، ولا يستطيع الجسم الهدوء بعدها إلا بعد مُضي ساعات طويلة، وربما طال الأمر عن ذلك، وأكدت الدراسات أن هذا التوتر القوي... سبب من أسباب السكتة القلبية المفاجئة، ولعل هذا يفسر سبب كثرة موت الفجأة الذي أخبرنا رسولنا محمد –صلى الله عليه وسلم– أنه يكثر آخر الزمان؛ لكثرة دواعي الغضب ومسبباته ."**[1]، لذا يجب على الإنسان ألا يترك نفسه فريسة للغضب، وأن يلتزم علاجه فور إحساسه به، ومن العلاجات الربانية للغضب والتي ورد ذكرها في الكتاب والسنة ما يلي:

---

[1] فن إدارة الغضب ص١٣.

- **العلم بضرر الغضب لقطع أسبابه:**

فالعلم بضرر الشيء أولى خطوات التخلي عنه والعلاج منه، والعلم بضرره يدفع الفرد إلى تفادي حدوثه، فكما قيل: الوقاية خير من العلاج، وفي الذكر الحكيم يخاطب الله –تعالى– نبيه قائلا –جل شأنه–"**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**"[١]، فالحرف (لو) يفيد "**تعليق حصول مضمون الجزاء لحصول مضمون الشرط مع القطع بانتفاء الشرط؛ فيلزم انتفاء الجزاء**"[٢]، بمعنى أنه لم يكن فظا ولو كان كذلك؛ لانفضوا من حوله، لكن ذلك لم يكن، واختار من الألفاظ الدالة على القسوة لفظة (فظ)؛ لتَوائم المبنى مع المعنى؛ **فـ"الفاء والظاء كلمة تدل على كراهة وتكره...، يقال: رجل فَظ: كريه الخلق**"[٣]، وصوت الظاء فيه قوة وتفخيم يناسب قوة المعنى، فهو حرف مجهور مستعلٍ مطبق، وجمع بين الفظ وغليظ القلب؛ ليدخل سوء الخلق وجفاء الطباع في حيز الممتنع؛ أي لست هذا ولا ذاك، ولو كنت بتلك الصفات؛ لانفضوا من حولك؛ أي تفرقوا **فـ"الفاء والضاد أصل صحيح يدل على تفريق وتجزئة...، وانفض القوم تفرقوا**"[٤]، والنص على الجار والمجرور "**من حولك**" يفيد زيادة تقوية، فكأنه يصور له المشهد المتخيل من

---

[١] آل عمران بعض آية ١٥٩.

[٢] المطول لسعد الدين التفتازاني– شرح وتعليق: أحمد عزو عناية ص٣٢٣ ط١ دار إحياء التراث العربي– بيروت . لبنان ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م، وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين حسن بن قاسم المرادي– تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل ص٢٧٥ ط١ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤٤١/٤.

[٤] معجم مقاييس اللغة ٤٤٠/٤.

تفرقهم وخلو مكانه منهم لو كان غاضبا في وجوههم قاسيا عليهم، فالآية الكريمة توضح البون الشاسع بين الرفق واللين، وبين القسوة والغضب.

وفي الحديث الشريف يحذر النبي –صلى الله عليه وسلم– من الغضب، **فـ"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَوْصِنِي، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ"**(١).

فالنهي في الحديث الشريف؛ للتحذير نصحا وإرشادا، والتكرار للتحذير يدل على أهمية تجنب المذكور، وتكرير التحذير يصدر "**ملونا بلون الباعث الداعي إليه، فقد يكون مصدره الرحمة والإشفاق...، فإذا كان الباعث قويا كان صداه تكرير اللفظ المنبئ بالخطر**"[٢]، فهو "**توجيه إلى قطع الغضب بقطع أسبابه وجوالبه وممهداته...؛ إذ لكي يتلافى الإنسان هذا الانفعال بواطنه وظواهره وآثاره عليه أن يتوقى في الدرجة الأولى الأسباب المثيرة له، والبيئات الممهدة والمناسبة لحدوثه.**"[٣].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب– بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ ١١٢/٤(٦١١٦).

(٢) التكرير بين المثير والتأثير د. عز الدين علي السيد ص١٢٠ ط١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة– مصر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

(٣) الانفعالات التشخيص والعلاج ص٢٣.

- **كظم الغيظ:**

فمن الأدوية الناجعة في علاج الغضب بعد المعرفة بضرره كظم الغيظ، ففي الذكر الحكيم ما يصف المؤمنين بأنهم يجتنبون حدوث ثورة الغضب بالتسامح والمغفرة، وكأن المتسامح يقتلع جذور فتنة الغضب قبل أن تتشبث بنفسه، يقول –تعالى– في وصف المؤمنين: "**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**"[١]، والتقييد بـ(إذا) في الآية الكريمة والتي تفيد تغليب وقوع الفعل[٢] يوضح أن الغضب أمر محتمل حادث في كثير من أحوال النفس البشرية، إلا أن الفوز لمن عالجه على الفور بالمغفرة، فكان كمن وقى نفسه باتباع أسباب الوقاية التي تغنيه عن مرارة العلاج، ومما يوضح علو رتبة العفو عند الغضب تسامحا وضعه في حيز العطف مع اجتناب الكبائر والفواحش، وكأن العفو عند الغضب لا يقل منزلة عن اجتناب الكبيرة والفاحشة؛ وذلك لأنه يمنع حدوثهما، فالغضب الثائر قد يجعل صاحبه يقتل، أو يسرق، أو يزني انتقاما؛ لأن "**للانفعال أثره في إبراز الدافع، فأحيانا يقويه كما يحدث في دافع المقاتلة؛ ذلك أن الانفعال المصاحب لهذا الدافع الغضبُ من شأنه أن يقويه وينشطه**"[٣] فالغضب باب للكبائر إذا لم يُحَجَّم عنانه.

---

[١] الشورى آية ٣٧.

(٢) "إذا: للقطع بوقوع الشرط تحقيقا أو باعتبار ما" / المصباح لبدر الدين بن مالك – تحقيق / حسني عبد الجليل يوسف ص٥٣ ط١مكتبة الآداب ١٩٨٩م.

[٣] الدوافع النفسية د. مصطفى فهمي ص٨٥.

ويقول الله –تعالى– في وصف المؤمنين أيضا: "**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ، وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**"[1]. فجعل من صفاتهم التي تصل بهم إلى مرتبة الإحسان كظم الغيظ، والعفو عن الناس، معبرا عنهما باسم الفاعل؛ ليفيد الثبوت، فهما صفتان ملازمتان لهم، واختار لفظة (الكظم) دون غيرها كالحبس أو الصبر؛ لأن الكظم صبر وحبس وتجرع للألم بكتم رد الفعل على الرغم من وجود الغيظ وتردده في النفس؛ احتسابا لوجه الله الكريم، فـ"**كظم الرجل غيظه إذا اجترعه...، والأصل في الكظم: الإمساك على غيظ وغم**"[2] فهو صبر وزيادة؛ لأن "**الصبر عن الشئ يفيد حبس النفس عن فعله، وصبرت على خطوب الدهر أي حبست النفس عن الجزع عندها**"[3]، فالصبر حبس لرد الفعل بدون غيظ، والكظم حبس له مع كتمان الغيظ والسيطرة عليه، فهو أشق على النفس من مجرد الصبر.

وقيل: كَظَم من: "**كَظَمْتُ السقاءَ أكظمه إذا ملأته وشددت رَأسه**"[4]؛ فهي على التمثيل؛ حيث استعار إمساك فم السقاء مع امتلائه لإمساك الغيظ مع امتلاء النفس منه، فالشيء إذا امتلأ إلى أقصى حد ولم يُشَد عليه ما يحبسه فاض، وهكذا النفس إذا امتلأت بالغيظ فارت وثارت، فإذا استطاع صاحبها أن يشد عليها فيكتمها كبحا لرغبته كان ذلك من أعلى مراتب قوة النفس،

---

[1] آل عمران آية ١٣٤.

[2] اللسان مادة (كظم).

[3] الفروق اللغوية ص١٠.

[4] جمهرة أمثال العرب لأبي هلال العسكري– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– عبد المجيد قطامش ٢/٢٣٤ ط١ دار الجيل بيروت– لبنان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

وأقدرها على التحكم في الانفعال، وأتقاها لله –تعالى–، وقوله –تعالى–: "**وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**" من الاحتراس والتكميل[١]؛ احترس به عن توهم كظمهم الغيظ خوفا من العباد، واحترس بها أيضا عن توهم حصول الندم بعد كظمه، فهم كاظمون للغيظ؛ خشية لله –تعالى– لا للبشر، وهم كاظمون الغيظ عن قدرة واقتدار على نفاذه لا عن ضعف وقلة حيلة، كظموه ابتغاء مرضات الله –تعالى–؛ لذا ذُيِّلت الآية الكريمة بقوله –تعالى–: "**وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**"، فالإحسان مرتبة رفيعة القدر؛ إذ بها يعبد المرء ربه كأنه يراه، فقد أجاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لما سئل عن الإحسان قائلا: "**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**"[٢]،والفرق بين المتقين والمحسنين؛ أن "**المتقي هو الذي يحفظ نفسه...، والمحسن هو الذي يُحسن إلى نفسه وإلى غيره**"[٣]؛ فلما كان كظم الغيظ من الإحسان إلى النفس وإلى غيرها ذيَّل الآية الكريمة بها.

وكما نصَّ القرآن الكريم على فضل الكاظمين للغيظ نصّت السنة المطهرة على ذلك أيضا فقد ورد أنه: "**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، قَالَا كِلَاهُمَا: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ:**

---

[١] "أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه"/ بغية الإيضاح م١/٢/٣٥٥ .

[٢] صحيح مسلم كِتَابُ الْإِيمَانَ– بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ١/٣٦ (١).

[٣] أسئلة بيانية في القرآن الكريم د. فاضل صالح السامرائي ص٧ ط١ مكتبة التابعين بالقاهرة– مصر ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

"**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**"[1]، فقد نفى أن يكون الشديد بالصُّرعة؛ "**وَهُوَ الْمُبَالِغُ فِي الصِّرَاعِ الَّذِي لَا يُغْلَبُ**"[2]، والجملة خبرية خبرها ابتدائي عار عن المؤكدات؛ تنزيلا للمنكر منزلة غيره؛ فقد وطن في النفوس أن الشديد بالقوة والغلبة، فعكَسَ الخطاب اعتقاد السامع وألقى الخبر خاليا من التأكيد؛ ليثير الدهشة في نفوسهم، ويخلق استفسارا ذهنيا يدور حول معرفة الشديد من يكون، ويشوقهم إلى معرفة الجواب، فإذا أتى بالجملة التالية: "**إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**" تمكَّن الحكم من النفس، واستقر في الذهن وخاصة أنه أكد الثانية عن طريق القصر، وطريقه (إنما)، وهي للأمور المسلم بها؛ ليخبرهم أن ذلك حكم لا ريب فيه، فشدة تملك زمام النفس، وكبحها عن الإمضاء في دافع الانتقام غضبا، وتغلبها على الشيطان لهي أقوى وأقهر من شدة الجسم المادية.

---

[1] صحيح البخاري ١١٢/٤ كتاب الأدب- باب الحذر من الغضب (٦١١٤)، وصحيح مسلم ٢٠١٤/٤ كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ (٢٦٠٩).

[2] لسان العرب مادة (صرع).

- **الاستعاذة بالله –تعالى–**

إن الغضب من عمل الشيطان، فمن غضب فاستعاذ بالله –تعالى– من الشيطان الرجيم فقد لاذ والتجأ إلى قوة الله –تعالى– وسلطانه، ومن لجأ إلى سلطان الله –تعالى– فهو في كنف الله ومنعته، قال تعالى: "**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**"[١]، وفي الحديث الشريف ذُكرت الاستعاذة كدواء للغضب، فقد ورد أنه:

"**حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ**"(٢)

فـ"يستبان: أَي يتشاتمان، وقَوْله: أوداجه: جمع وَدَج بِفَتْحَتَيْنِ؛ وَهُوَ عرق فِي الْحلق فِي المذبح"(٣)،

و(يستبان) على صيغة (يستفعلان) والاستفعال بزيادة المقطع (است) الدال على الطلب فيه طلب للشيء، وكأن كل واحد منهما يبحث في ذهنه طالبا

---

[١] الأعراف آية ٢٠٠.

[٢] صحيح البخاري ٤٣٧/٢ كتاب بدء الخلق– باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨٢)– صحيح مسلم ٢٠١٥/٤– كتاب البر والصلة والآداب– باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٢٦١٠).

[٣] عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٧٥/١٥.

أقبح ما يعرفه من ألفاظ السب؛ ليسب بها صاحبه وما ذلك إلا لشدة غضبه، فالجملة كناية عن بلوغ الغضب أعلى درجاته، وجمع لفظة الوَدج، فقال: (الأوداج) وهما ودجان؛ لتغليب الجمع على المثنى، وتبدو بلاغة التغليب في التكثير، وكأن للغاضب أوداجا كثيرة لا ودجين من شدة غضبه كلها تنتفخ، فالتراكيب تنقل لنا مشهدا تصويريا مفعما بالحركة لتلك الواقعة.

وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**[1]"؛ أي ما يُغضبه، قول مؤكد بـ(إنَّ) واسمية الجملة واللام، فهو خبر إنكاري ساقه؛ لتقرير الخبر ورفع الإنكار عنه؛ إذ الصورة لرجل اشتد غضبه حد الفوران الخارجي الذي طغى على صفاته الجسدية؛ فاحمرَّ وجهه، وانتفخت أوداجه، فأكَّد النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الاستعاذة تشفيه مما يجد؛ حتى لا يدخل الشك في قلوب السامعين من أن القول يشفي الفعل، فهي جملة قولية إلا أنها مفتاح باب الالتجاء إلى الله –تعالى، والله –جل علاه– لا يرد من اعتصم به، وكرر لفظة (يَجِد)؛ لتقرير فضل الاستعاذة، والتنبيه على تأثيرها الشافي حال الغضب.

وعطف بالفاء في قوله: "**فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**"؛ ليبين سرعة استجابة الصحابة –رضوان الله عليهم– لنصح رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ فأعادوا ذكره على الرجل الغاضب على الفور؛ لينجو من شيطانه إلا أنه وعلى الفور أيضا أجابهم مستفهما استفهاما تعجبيا يعلن به عدم قبوله للنصح "**فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ**" والاستفهام التعجبي يحمل في طياته تفسيرا للسمات الشخصية للرجل، فهو شخص مُعرِض عن النصح، أضعف من أن ينتصر على شيطانه، قيل عن

---

[1] وَجَدَ عليه وَجْدًا ووجدانا: غَضِبَ/ اللسان مادة (وجد).

رده: "**هَذَا كَلَام من لم يتفقه فِي دين الله، وَلم يتهذب بأنوار الشَّرِيعَة المكرمة، وتوهم أَن الِاسْتِعَاذَة مُخْتَصَّة بالمجانين، وَلم يعلم أَن الْغَضَب من نزغات الشَّيْطَان، وَيحْتَمل أَنه كَانَ من الْمُنَافِقين أَو من جُفَاة الْأَعْرَاب...، والاستعاذة من الشَّيْطَان تذْهب الْغَضَب، وَهُوَ أقوى السِّلَاح على دفع كَيده**"(١).

- **تغيير الوضعية**

وأعني بها تغيير وضع الجسد فإن كان قائما جلس، أو اضطجع؛ ليصرف شعوره عن التركيز في الغضب إلى شيء آخر؛ مما يخفف من حدة التوتر، ويعمل على الهدوء النفسي، فتغيير وضعية الجسد "**هو إحداث استجابات سلوكية خارجيةمغايرة لمطلب الانفعال، أو مناقضة لطبيعته، تقوم بصرف الأفكار والمشاعر عن موضوع الغضب، أو تؤدي إلى البرود والاسترخاء النفسي والعضلي.**"(٢)، وقد سبقت الأحاديث الشريفة علماء النفس إلى بيان ذلك؛ فـ"**عن أبي سعيد الخدري: أَلَا وَإِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالأَرْضِ**"(٣).

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٧٥/١٥.

(٢) الانفعالات التشخيص والعلاج ص٣١.

(٣) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي- تحقيق:أحمد محمد شاكر- محمد فؤاد عبد الباقي- إبراهيم عطوة عوض ٤٨٣/٤ - بَابُ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ- من حديث صلى بنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يوما العصر (٢١٩١) ط٢شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

فقد شبَّه الغضب بالجمرة تشبيها مؤكدا بحذف الأداة؛ ليقرره في النفس، والتقط من الطرفين اشتراكهما في عنصر اللون الأحمر الناري المتقد، وقيَّد المشبه به بالجار والمجرور "**فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ**"؛ ليؤكد أن الضرر الفادح الواقع جراء الغضب يتمكن أيما تمكن من قلب صاحبه قبل أن ينتقل إلى مُغاضِبه، فمن ظن أنه ينجو من ضرر غضبه؛ فقد وَهِم، مُفصلا ما يصيب الإنسان من تغير الشكل حال غضبه الشديد بـ"**حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ**" وهو منظر مُنفر لا يحب أحدٌ أن يبدو به، وينتقل إلى العلاج قائلا: "**فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالأَرْضِ**"، والجملة شرطية ربط جوابها بالفاء؛ لأنها طلبية إلا أن الفاء تفيد التنبيه إلى سرعة استخدام العلاج على الفور؛ وذلك لأن تغيير وضعية الجسد باللصوق بالأرض تخفف من حدة الجمرة المتقدة في قلبه، فالمشتعل غضبا وهو قائم له سطوة وقدرة على الاضطراب والتناوش يمينا ويسارا وفي كل اتجاه على عكس الملتصق بالأرض فقد كفى نفسه وغيره شر القتال، هذا إلى جانب أن في الوقوف استعلاء وفي اللصوق بالأرض تواضع وبسط يذكِّره بأنه من الأرض خُلِق وإليها يعود، فلا جدوى من تجبره على أحد.

****

وفي حديث أبي ذر: "**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ**

اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ لَنَا: إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ"[١].

فهنا لم يكتف بالجلوس إذا لم ينتج عنه حل لما يجد في نفسه بل وليضطجع أيضا، والصيغتان أمريتان؛ للنصح والإرشاد تدرجتا في الفعل؛ للعلاج من أشد الغضب حال الاستعلاء والتمكن بالوقوف إلى الحد منه في الجلوس، فالجالس أقل تمكنا من القائم، فإن لم يذهب غضبه؛ فليضطجع وتلك أقل تمكنا من الجلوس، فلا يقدر على البطش وهو في تلك الحالة، هذا إلى جانب حدوث الانشغال عما كان فيه من التأهب لتبعات الغضب بوضعيته الجديدة؛ **فـ"قد أثبتت الدراسات أن ٩٩% من الجرائم والمشاكل التي تحدث بين الناس تحدث في العشرين ثانية الأولى من حدوث السبب المؤدي للغضب"**[٢]؛ فإذا شغل عقله بتغيير وضع جسده من القيام إلى الجلوس أو الاضطجاع فقد صرف نفسه عن الانطلاق في طريق الغضب، وأضعفَ من قوى الشيطان في الاستحواذ عليه.

---

[١] سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني– تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ٢٤٩/٤–كِتَاب الْأَدَبِ– بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ (٤٧٨٢) ط١ المكتبة العصرية صيدا، بيروت– لبنان د.ت.

[٢] فن إدارة الغضب لفهد الحمدان ص١٨.

- **الوضوء**

بما أن الغضب نار، فالماء يطفئه؛ "**فالماء البارد يهدِّئ من فوران الدم الناشئ من الغضب، ويساعد على تخفيف التوتر العضلي والعصبي، ولذلك يستخدم الاستحمام في العلاج النفسي**"[1]، وفي الحديث الشريف: "**حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو وَائِلٍ الْقَاصُّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّعْدِيِّ، فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ فَأَغْضَبَهُ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ تَوَضَّأَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**"[2].

ابتدأ الحديث بالخبر المؤكد بـ(إنَّ) واسمية الجملة "**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ**"؛ ليرسخ تلك الحقيقة في عقول السامعين؛ لينفر بها من التمادي في انفعال الغضب، وقد وضع المظهر (الشيطان) موضع المضمر، على الرغم من سبق ذكره لم يقل: (وإنه خلق من نار)، ولكن أظهره؛ ليقرر تلك الحقيقة ويمكنها من الأذهان؛ لتكون رادعا عن الانطلاق في سبيل الغضب، مستخدما أسلوب القصر في قوله: "**وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ**"، وأداته (إنما)؛ لأن تلك حقيقة بدهية معلومة للجميع يمهد بها للإقناع بما سيأتي ذكره، فاستخدامها هنا للإقناع من الذكاء الحواري يُقدِم لهم بها مقدمة مُسلَّما بها يترتب عليها نتيجة يجب التسليم بها؛ لترتبها على

---

[1] الانفعالات التشخيص والعلاج ص٣٤.

[2] سنن أبي داود ٢٤٩/٤ كِتَاب الْأَدَبِ- بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ (٤٧٨٤) .

مقدمة صحيحة لا شك فيها؛ وكأنه يقول لهم: إذا كانت الماء تُطفئ النار كما تعلمون جميعا، والغضب من النار؛ فإن الوضوء يُذهِب الغضب، وعليه "**فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**" فهو علاج نافع لتهدئة الغضب وإزاحة ثورته، والأمر فيها للنصح والإرشاد، يرشدنا لما هو أنفع لنا –عليه صلوات الله وتسليمه–.

****

الخاتمة

الحمد لله ذي المنة والفضل، والصلاة والسلام على حبيب القلب محمد – عليه صلوات الله وتسليمه– وعلى آله وصحبه، وبعد،،،

كانت تلك رحلتي مع انفعال الغضب، والتي تمخض البحث فيها عن نتائج أذكر منها:

- لم يكن غضب الأنبياء إلا لله –تعالى–؛ دعوة للتوحيد ونبذا للشرك.
- من أبرز ما يوضح بلاغة وصف تفاقم الغضب في الجمل الخبرية؛ انتقاء الألفاظ الأكثر دقة في دلالات التراكيب؛ فمراعاة الفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ ذات المعاني المتقاربة وضعت كل لفظة في موضعها الأليق بها حسب السياق.
- جاءت أغلب الجمل الخبرية مؤكَّدة في مقام التعبير عن الغضب، فكثير منها من نوع الخبر الإنكاري؛ ليتناسب ارتفاع نغمة التأكيد مع علو نبرة الغضب.
- لعبت الجمل الإنشائية دورا بارزا في إلقاء اللوم والعتاب على من تسبب في حصول الغضب عن طريق النداء، والاستفهام بأنواعه؛ الإنكاري، والتقريري، والتوبيخي، والتعجبي.
- أطلت الصورة البيانية بقلة على استحياء؛ وذلك لأن المقام مقام انفعال يناسبه الحقائق أكثر من الخيال.
- ترتبط الانفعالات بالدوافع، والدافع المرتبط بانفعال الغضب؛ هو الرغبة في الانتقام والمقاتلة؛ لذا كان علاج الغضب يعد بترا لضررٍ فادحٍ يرتبط وقوعه بالندم الشديد.
- سبقت السنة النبوية إلى ذكر علاج انفعال الغضب بطرق تحدَّث عنها علم النفس، وأثبت صحتها بالدليل القاطع.

****

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني ط٧ المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة- مصر ١٣٢٣ هـ.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ط١ دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان د.ت.

٣. أسئلة بيانية في القرآن الكريم د. فاضل صالح السامرائي ط١ مكتبة التابعين بالقاهرة- مصر ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير ط١ دار الفكر، بيروت- لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥. الانفعالات التشخيص والعلاج من المنظور الإسلامي أ.د/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي ط٢ دار الفضيلة بالرياض- السعودية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٦. الإيضاح للخطيب القزويني- شرح: عبد المنعم خفاجة ط٣ دار الجيل بيروت- لبنان د.ت.

٧. بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ط١٧ مكتبة الآداب بالقاهرة- مصر ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٨. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر ابن عاشور ط١ الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ.

٩. التحليل النفسي والأدب لجان بيلمان نويل- ترجمة: حسن المودن ط١ دار كنوز المعرفة بعمان- الأردن ١٤٣٨هـ ٢٠١٨م.
١٠. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير- تحقيق: محمد حسين شمس الدين ط١ دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان ١٤١٩ هـ.
١١. التكرير بين المثير والتأثير د. عز الدين علي السيد ط١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة- مصر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
١٢. التكيف النفسي د/ مصطفى فهمي ط١ دار مصر للطباعة بالقاهرة- مصر ١٩٧٨م.
١٣. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق: محب الدين الخطيب ط١ المكتبة السلفية بالقاهرة- مصر ١٤٠٠هـ .
١٤. جمهرة أمثال العرب لأبي هلال العسكري- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- عبد المجيد قطامش ط١ دار الجيل بيروت- لبنان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٥. الجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين حسن بن قاسم المرادي- تحقيق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل ط١ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
١٦. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني- تحقيق: محمد علي النجار ط٦ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة- مصر ٢٠١٩م.

١٧. دراسات في علم النفس الإسلامي د/ محمود البستاني ط٢ دار البلاغة، بيروت– لبنان ١٤١١هـ ١٩٩١م.
١٨. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني – قرأه وعلق عليه / محمود محمد شاكر ط٣ مطبعة المدني بجدة– السعودية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
١٩. الدوافع النفسية د. مصطفى فهمي ط١ دار مصر للطباعة– القاهرة– مصر ١٩٨٧م.
٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي– تحقيق: علي عبد الباري عطية ط١ دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان ١٤١٥ هـ.
٢١. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني– تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ المكتبة العصرية صيدا، بيروت– لبنان د.ت.
٢٢. سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي– تحقيق:أحمد محمد شاكر– محمد فؤاد عبد الباقي– إبراهيم عطوة عوض ط٢شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٢٣. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي– تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ط١ مؤسسة الرسالة – بيروت–لبنان ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.
٢٤. سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي– تحقيق : الشيخ شعيب الأرناؤوط ط٣ مؤسسة الرسالة– بيروت– لبنان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٥. الشخصية في سوائها وانحرافها د. مصطفى فهمي ط١ دار مصر للطباعة بالقاهرة- مصر ١٩٦٦م .
٢٦. شرح شافية ابن الحاجب للشيخ رضي الدين بن الحسن الاستراباذي- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ط١ المكتبة العلمية- بيروت- لبنان ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٢٧. شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف ابن بطال- تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم ط٢ مكتبة الرشد- الرياض- السعودية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٨. الشفاء في بديع الاكتفاء لشمس الدين النواجي- تحقيق: د. محمود حسن أبو ناجي ط١ دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان ١٤٠٣هـ.
٢٩. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة لمحمد ناصر الدين الألباني ط١ مركز نور الإسلام بالأسكندرية- مصر د.ت.
٣٠. الضغوط النفسية ومواجهتها د. محمد علي كامل ط١ مكتبة ابن سينا للطبع والنشر بالقاهرة- مصر ٢٠٠٤م.
٣١. عروس الأفراح للشيخ بهاء الدين السبكي ط١ المكتبة العصرية صيدا- بيروت- لبنان ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٣٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط٥ دار الجيل بيروت- لبنان ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٣٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العينى ط١ دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان د.ت.

٣٤. عن الغضب- لوكيوس سينيكا- ترجمة: د.حمادة أحمد علي ط١ آفاق للنشر والتوزيع بالقاهرة- مصر ٢٠٢٠م.
٣٥. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري- تحقيق: محمد إبراهيم سليم ط١ دار العلم والثقافة بالقاهرة- مصر ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٣٦. فن إدارة الغضب لفهد بن محمد الحمدان ط٢ مكتبة الملك فهد بالرياض- السعودية ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ط٣ دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان ١٤٠٧ هـ.
٣٨. لسان العرب لابن منظور ط١ دار المعارف ١٩٨١م .
٣٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط١ دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان د.ت.
٤٠. المصباح لبدر الدين بن مالك – تحقيق / حسني عبد الجليل يوسف ط١مكتبة الآداب ١٩٨٩م.
٤١. المطول لسعد الدين التفتازاني – تعليق: أحمد عزو عناية ط١ دار إحياء التراث العربي ببيروت- لبنان ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٤٢. معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ط١ دار الفكر للطباعة والنشر بعمان- الأردن ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٤٣. معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ط٢دار صادر، بيروت- لبنان ١٩٩٥ م.

٤٤. مفيد العلوم ومبيد الهموم لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس ط١ المكتبة العصرية، بيروت– لبنان ١٤١٨ هـ.

٤٥. مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس– تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط١ دار الفكر للطباعة والنشر– بيروت– لبنان د.ت.

٤٦. مناهج النقد الأدبي –إنريك أندرسون إمبرت– ترجمة: د/ الطاهر أحمد مكي ط١ مكتبة الآداب بالقاهرة– مصر ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٤٧. مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي– تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ط١ المكتبة العصرية صيدا– بيروت– لبنان ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

٤٨. الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ط١ مؤسسة الأعلى– بيروت– لبنان ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.